قصص خاطفة

(مائة قصة وقصة)

تأليف

دكتور حامد طاهر

الناشر



الغلاف إهداء من

الفنان جمال قطب



تقديـــم

هــذا نـــوع مـــن القصـــص القصيرة ، بل والقصـــيرة جداً ، أطلقت عليه مصطلح (القصص الخاطفـــة) ، وأعنى بها قصص الموقف البسيط ، واللمحـــة الســـريعة ، التى يتم التقاطها من واقع الحـــياة الجارية، وترصد بعض التفاصيل الدقيقة ، والمفارقـــات الســـاخرة، فـــى عبارات قصيرة أو متوسطة ، قد يتخللها بعض الحوار، أو توجد فيها عقدة ، لكنها ما تلبث أن تنحل، لكى تضع القارئ فـــى حالـــة من الدهشة الأدبية، وتتركه يفكر فى المغزى، والهدف ، وكيف؟ ولماذا ؟

يقـــترب هـــذا الـــنوع كثـــيراً من القصيدة الشـــعرية، كما يتشابه مع اللوحة الفنية ، وهو لا يحتاج لتعب شديد فى قراءته ، أو محاولة فهمه .

فهـــو بسيط غير معقد ، عفوى ومنساب . بل إن القارئ يمكنه استيعابه بنظرة واحدة ، وهو يصلح للإلقاء كما يلقى الشعر ، ويمكن للكبار أن يتواصلوا به مع الصغار فى سهولة ويسر .

ويتمشى هذا النوع من (القصص الخاطفة) مع روح العصر ، الذى لم يعد يقبل القراء فيه على الأعمـــال الأدبـــية الطويلة . ويكفى لإثبات ذلك أن تجـــرى إحصائية بسيطة لمن قرأوا (ثلاثية) نجيب محفوظ ومن شاهدوها فى السينما أو التليفزيون ؟ وكذلـــك من قرأ نزار قبانى ، ومن استمع لقصائده التى غناها عبدالحليم حافظ وكاظم الساهر وماجدة الرومى..

ومن أهم خصائص (القصص الخاطفة) أنها تســـتجيب لنشرها وتداولها على شبكة الإنترنت ، حيـــث لا تزيد كل منها عن صفحة فلوسكاب. وفى تصورى أنها قد تفتح باباً لإهدائها من شخص إلى آخر عبر البريد الإلكترونى (E-mail).

وهكــذا يمكن أن يتفاعل الأدب مع التطور التكنولوجى ، الذى بدأ يشهده العالم ويعيش طفراته المتلاحقة . وبدلاً من أن يظل محصوراً فى أشكاله التقلــيدية، البطيــئة الإيقــاع. يتحول إلى جرعات مركزة ، تتداخل وتتوافق بسرعة مع البناء الثقافى للإنسان المعاصر.

أخيراً تبقى كلمة أريد أن أحيى فيها كل من سبقنى إلى مثل هذا النوع من الكتابة ، وكذلك كل من سيتابعه بمزيد من الكفاءة والتطوير . .

حامد طاهر

حلم فى البرلمان

جلـــس النائـــب يســـتمع إلى كلمات زملائه فى الـــبرلمان ، لكـــنه كان مرهقاً من سفر القطار ، فأحس بالنوم يغالبه بقوة . ظل يدفعه عنه خشية أن يراه أحد، أو تقـــع علـــيه كاميرا التليفزيون فتفضحه أمام أهالى دائـــرته. لكن الفرصة السعيدة واتته ، حين وقف أمامه مباشرة زميل ضخم الجثة ، راح يلقى بياناً مطولاً . .

كـــان دوار العمدة يموج بالفلاحين الذين التفوا حوله ليعطوه الشكاوى، ويحدثوه عن مشاكلهم . وكان يســـتمع لكـــل منهم وسط الضجيج ويعده خيراً . تلقى الكثـــير مـــن الدعوات ، وكاد بعضهم يسقط على يده يقـــبلها . وفجـــأة ظهـــر منافسه المهزوم فهرول إليه الكثيرون ، وراحوا يشكون إليه من أن النائب لا يصغى إلـــيهم . بحث عن العمدة وشيخ البلد ليستشهد بهما ، ويقســـم أنه يحسن استقبال الجميع . نظر إليه المنافس القديم باستخفاف ثم قال :

– ألم أراهنك على أنك لن تصلح للدائرة .

أكــد له أن أداءه موضع إعجاب الجميع ، وأنه هــو الحاقد الذى لن يرتاح أبداً لمتابعة انتصاراته . قال له بسخرية :

– أية انتصارات ؟ ! كلها كلام فارغ .

غلـــى الدم فى عروقه، وأمسك بتلابيبه ، وكاد يهــوى بيده على رأسه، لكن زميله فى البرلمان أيقظه قائلاً :

– يا أخى كفاية بقى . . الناس كلها سمعت شخيرك!

واجب عزاء

جلس فى السرادق مقطباً جداً . ومع مرور الوقـــت ، راح يتفقد أفواج القادمين والراحلين، ثم اطمأن إلى أن أحداً لا يراقبه، فاختفت الجهامة من وجهـــه ، وحل محلها نوع من الرغبة فى ملاحظة الوجـــوه ، والإصغاء إلى مختلف الهمسات. شرب أكـــثر مـــن فـــنجان قهوة . كما تلقى عدة سجائر وضعها فى جيبه. سلم على أهل الميت بحرارة ، ثم خرج من السرادق ، وهو راضٍ تماماً عن نفسه ، حيث أدى واجب العزاء . .

شاعر فى مجلة

حمل الشاعر مجموعة مختارة من قصائده، وذهب إلى المجلة ، التى سبق أن نشرت له قصيدة واحـــدة ، والـــتى كانت هيئتها بالكامل منهمكة فى اجتماع هام مع رئيس التحرير . جلس منتظراً فى الممر . عطف عليه الساعى فاحضر له كوب شاى، راح يرشفه مقلباً أوراقه ، ومحاولاً قراءتها للمرة الألـــف . تجاوزت الساعة الثانية بعد الظهر ، ولم يـــنفض الاجتماع. نهض الشاعر مسلماً بيده على الساعى ، وهو يقول :

- أرجـــو أن تـــبلغ الزملاء أننى سأمر عليهم فى فرصة أخرى . .

نصف المبلغ

عــاش يتمنىَ أن يمتلك الفيلا الواقعة على ناصــية الشــارع ، وخاصــة أن صاحبها توفى ، وأبــناءه يحتلون مناصب دبلوماسية فى الخارج. سأل عن نيتهم فى البيع والثمن ، فقيل له يومئذ: اثنا عشر ألف جنيه . كان ذلك فى بداية السبعينات، ولم يكن يمتلك حينئذ سوى نصف المبلغ . قرر أن يســافر إلــى إحدى البلاد العربية ليحسن دخله ، ويدخر الباقى . . هناك ظل عشرة أعوام متواصلة ، عمــل فيها بجد ، وجمع الكثير . وعندما رجع إلى مصر وجد الفيلا ما زالت قائمة ، وأصحابها يطلبون فــيها خمســمائة ألف جنيه . أما هو فلم يكن معه سوى نصف المبلغ أيضاً ! !

صديقان

جمع القدر بينهما برباط عجيب، كانا يسكنان متجاورين ، وتزاملا فى كل مراحل التعليم . حتى فى الجيش . . تم تجنيدهما فى نفس السلاح . وكان الأعجب أنهما التحقا فى الوظيفة بمكان واحد. أما الافتراق الحقيقى ، فجاء من الزواج ، حيث أرسل كل منهما والدته إلى أسرة بنت الجيران التى أحباها معاً ، ففضلت أحدهما على الآخر ، الذى لم يتحمل الصدمة ، فسافر فى أول فرصة إلى الخارج.. عمل وكد ونجح ، ثم عاد بعد عشر سنوات كاملة ، ليفاجأ بوفاة صديقه ، ويلتقى بأرملته مع طفلين فى عمر الزهور . على الرغم من كثرة الفتيات اللاتى عرضن عليه للزواج ، فقد اختار تلك الأرملة، ليقضى معها بقية حياته .

الفستان

كان أخشى ما تخشاه أن تكتشف صديقاتها من أين اشترت لها أمها ثوبها الجديد . كل واحدة مـــن صديقاتها تتباهى بأنها تشترى فساتينها من أرقى محلات البلد ، فماذا يحدث لو عرفن أن هذا الفستان من (وكالة البلح) ؟ ! أغلقت الحجرة على نفسها، وراحت تقيسه عدة مرات ، ثم تتفحص كل ثنية فيه ، وعندما اكتشفت أن بعض الأزرار غير متماســكة ، أكّدت عليها مراراً .. فى ليلة الحفل، فوجئت بثناء الجميع على الفستان .. سوى واحدة ظلــت تــنظر إليه طويلاً ، ثم همست كأنما تحدث نفسها :

– أذكر أننى امتلكت فستاناً مثله من قبل !

زجاجة الساعة

جلسوا يتحدثون عن الساعات ، واستعرض كل منهم معلوماته عن الماركات العالمية . وراحوا يـــتفاخرون بامتلاكهم بعضها . وظل هو صامتاً ، حـــتى أمسك أحدهم بيده ، وصاح : ما أجمل هذه الساعة !

لـــم تكـــن الأجمل ولا الأغلى ولا الأشهر . لكـــنها كانـــت بسيطة وانسيابية . فى اليوم التالى لاحـــظ أن فـــى زجاجتها شرخاً واضحاً ، ظل يكبر ويتســـع حـــتى أخفى جزءاً من الأرقام . ذهب إلى محل إصلاح الساعات . تفحصها الرجل ثم قال :

– ســـبحان الله !! كيف حدث هذا؟ زجاجة الساعة مشروخة من داخلها . .

أدرك على الفور أن العين حق ! !

ترويض البواب

حشـــد كـــل ما فى طاقته وسنوات عمره ، لكى يحســـن مـــن مستواه المادى . وعندما عاد من الخليج كـــان مـــا يـــزال موظفاً ، لكن أغلى أمانيه تركزت فى امـــتلاك شـــقة فاخرة فى عمارة محترمة بحى راق فى العاصـــمة. ولكى يفرشها بالأثاث المناسب، أنفق تقريباً مـــا يعـــادل ثمـــنها . وكان أروع ما يمتعه فى الذهاب والعـــودة أن يـــرى نفســـه فـــى المرآة الفخمة بجوار الأسانســـير وحولهـــا أصص نباتات الظل. لكن أسوأ ما كـــان يؤرقه : معاملة البواب . الرجل متعجرف جداً ولا ينهض من مكانه عند رؤيته، فى حين أنه ينهض لباقى الســـكان ! حاول أن ينسى الموضوع لكنه كان أثقل من أن يهملـــه . راح يـــزيد له البقشـــيش : جنيه، اثنين ، ثلاثـــة . . لا جـــدوى. أخـــيراً زارتهم إحدى الجارات ، فحاولـــت زوجته أن تسألها عن كيفية ترويض البواب ، أجابـــتها ببساطة أن أى مشوار يقضيه (عم جاد) لأحد السكان لا يقل ما يأخذه عن ورقة بخمسة جنيهات!

تاجر فى طائرة

استجمع كل شجاعته، وقال لجاره فى الطائرة:

– لو سمحت ، التدخين هنا ممنوع .

نظـــر إلـــيه الرجل السمين جداً بانكسار شديد، وقال هامساً :

– اعذرنـــى فقط حتى تصعد الطائرة، فأنا أحسّ فى هذه اللحظات باضطراب شديد.

ثم أضاف :

– أنا آسف . . آسف جداً .

تحمـــل مضـــطراً رائحة السيجار ، وظل يقاوم حتى ارتفعت الطائرة فى الجو ، وأعلن عن إمكانية فك الأحـــزمة . نهض مبتعداً عن هذا الجار الثقيل ، ثم عاد فوجـــده ما زال يدخن . حاول أن يشكو للمضيفة ، لكنه وجدها غير مبالية تماماً ، بل تكاد تكون موافقة !

بعـد أكـثر مـن سـاعة ، دخلت الطائرة فى مجموعـة مطـبات هوائـية ، ألزمت الجميع أماكنهم ، وطلـب الطيار ربط الأحزمة . زادت الاضطرابات فوجد جـاره يمسـك بـيده بشدة ، وفى عينه نظرة الانكسار السابقة .

سأله :

- هل هذه أول مرة ؟

- أبـداً ، فأنـا زبـون دائـم على هذا الخط . أعمالى تضـطرنى للسـفر إلـى فرع شركتى بالخارج ، كل أسبوع مرة على الأقل .

سأله :

- فى ماذا تعمل ؟

أجاب وهو ينفث دخان السيجار :

- فى الحديد والصلب!

المستمع الساخر !

بدأت المحاضرة ، وكان الحضور أكثر مما توقـــع. راح يـــتحدث عن تاريخ المشكلة ، ويبين أبعادهـــا على المستوى المحلى والعالمى ، ويذكر الإحصـــائيات ويعقـــد المقارنـــات ، والصمت يلف القاعة، والعيون شاخصة ، والإعجاب شديد . وفى لمحة خاطفة ، وجد شخصاً ينظر إليه باستخفاف. لم تعجـــبه الـــنظرة، فتردد قليلاً ثم انطلق فى حديثه. لمحـــه مـــرة أخرى فوجده أكثر استخفافاً . أحس بالغيظ . كاد يتوقف ويأمره بالوقوف ليسأله عما لا يعجـــبه فى المحاضرة . لكن ما قيمة شخص واحد بيـــنما الـــباقون معجبون ! فى المرة الثالثة وجده يبتسم من تأكيده على إحدى النقاط . لم يستطع أن يمسك نفسه ، فقال :

– إذا لـــم يكن ما أقوله حقيقة فإننى أتحدى مـــن يعارضنى!

ذهـــل الجمـــيع من هذا الاستطراد ، ونظر الحاضـــرون بعضهم لبعض . ازداد الرجل ابتساماً ســـاخراً فازداد المحاضر غضباً وانفعالاً . . صار ينظر فى أوراقه ، فلا يجد فيها ما يريد . بدأ يسمع همهمات بين الحاضرين ، بل إنه فوجئ بانصراف الصفوف الأخيرة.. أسرع بإنهاء المحاضرة، نظراً لارتباطه بموعد هام . صفق الحاضرون فيما عدا الرجل المبتسم بسخرية !

عودة المسافر

ازدحمت الشقة بالعمات والخالات وأبنائهم وبناتهم بالإضافة إلى بعض المقربين من الجيران . جاءوا كلهم يهنئون بسلامة العودة من الخارج بعد غربة استمرت تسع سنوات . همست إحدى العمات لجارتها :

- كم شنطة أحضرها معه ؟

سمعها طفل صغير فصاح:

- إنهم لم يفتحوها بعد ! !

وربتت خالة لديها فتاة فى سن الزواج على ركبة أمه قائلة :

- عقبال ما نشوفه عريس !

وفى داخل حجرة الصالون التى اقتصرت على الرجال، قال له أحد الأعمام :

- تعرف يا بنى . . مناخ الاستثمار فى البلد أصبح جيداً جداً ، وأنا أعرف الكثير من المسئولين .

وتدخل أحد الأخوال :

– لكـــن المسألة تتوقف على الثقة فيمن تتعامل معهم . النصابون فى كل مكان !

كـــان الشاب متعباً من رحلة السفر ، فلم يرد . أمـــا والـــده الطاعن فى السن فراح يكرر المعوذتين ، ويضـــغط علـــى أسنانه بشدة كلما مرّ على قوله تعالى: "مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ" .

الفاكهة المعطوبة

فشـــل زواجـــه الأول بسبب الجشع . كانت زوجته مثل البالوعة التى تشفط مصروف البيت ، وكـــل ما يحصل عليه من مكافآت . فاض به الكيل فطلقهـــا ، وأقسم ألا يرتبط إلا بزوجة (شبعانة) . أشـــار عليه أقاربه بالكثيرات ، لكنه ظل متخوفاً ، وكلما لاحظ أى علامة ، ولو بسيطة، عن فقر أهل العـــروس ، فرّ هارباً بجلده . سمع ذات يوم اثنين من زملائه فى العمل ، وهما يتهامسان عن (فلانة) الموظفة بالدور الثالث ، ومدى الثروة التى يتمتع بها أهلها . سقطت الكلمات فى ذهنه ولم تخرج . بـــل إنهـــا راحت تكبر وترن ويتردد لها أصداء . تلمـــس الطريق إليها ، فلم يجد أى عوائق ، فقط زواجهـــا السابق من أحد رجال الأعمال . لا يهم ! وجدها بالفعل أرقى مستوى من زوجته الأولى .

في فترة الخطوبة كانت تبادله الهدايا ، في حيـــن لم تفعل الأولى مثل هذا على الإطلاق . بعد الزواج لم تطالبه بشئ ، حتى أن راتبه كان يوضع فـــي الدولاب فلا تمسه. كان أهلها يزودون المنزل بكـــل ما يحتاجه ، حتى في الصيف كانوا يحجزون لهما في أحد المصايف . بدأ يشك في الأمر، وراح يبحث ويفتش.. حتى فوجئ ذات يوم أنها مريضة بالقلب !

فى غرفة الإنعاش

فجـأة اضطربت دقات قلبه ، وحدثت الدوخة ، ووجـد نفسـه فـى حجـرة العناية المركزة ، مربوطاً بأسـلاك وأنابيـب ، وحوله أجهزة إلكترونية، تتابعها ممرضات نشطات دون أن ينظرن إليه !

- ماذا حدث؟

قيل له بعد يوم كامل :

- أزمـة قلبـية من النوع المتوسط ، ولولا رحمة الله لكانت من النوع الحاد ورحت فيها!

- سأل :

كم من الوقت سأبقى هنا؟

أجابوه باختصار :

- حتى تتحسن الحالة !

غـاب فـى نوم عميق ، وشاهد بعض الأحلام المتقطعة ، وخلف زجاج الغرفة كان يلمح بعض الوجوه

الــتى يعــرفها : زوجته ، بعض الأقارب ، والأصدقاء ، وموظفــو شــركته. . كــان مقرراً أن يسافر فى نهاية الأسبوع إلى لندن . حرص هذه المرة على أن يحجزوا له فى فندق آخر حتى لا يلتقى بأحد يعرفه، ويكون أكثر حــرية! لعل هذا هو العقاب الذى نزل به . ولعله تحذير من النية الشريرة.

عندما سمحوا لزوجته أن تزوره . أمسك بيدها فى غاية الامتنان وقال :

– عــندما أخــرج بإذن الله ، سوف أصحبك معى لأداء العمرة !

الأستاذة الجميلة

لـــم يمض على دخولها الجامعة أكثر من شهر ، حتى تقدم لها عريس . كانت جميلة جداً ، وبسرعة تمت الخطـــبة والشبكة وكتب الكتاب ، ووجدت نفسها فى شقة الزوجية بعيداً عن الكلية التى كانت سعيدة بالالتحاق بها. مـــر عام ، فبدأ الزواج ينهار ، وانتهى أخيراً بالطلاق . خرجـــت من التجربة مجروحة ومرهقة، نصحتها الأسرة بالعودة إلى الجامعة لمواصلة دراستها. تعرف عليها أحد المعيديـــن ، فأعجب بجمالها الأخاذ ، وقرر أن يعوضها عمـــا ســـبق ، اعـــترض أهله لأنها مطلقة . لكنه أسرع بإتمام الزواج.

مـــر عامان ، أنجبت خلالهما طفلة جميلة ، لكن الزواج فشل بسبب مضايقات أهله ، فتم الطلاق . قررت أن تعـــود للجامعة للمرة الثالثة ، مصممة على ألا ترتبط بـــأى رجـــل حتى تنتهى من دراستها، وتتخرج . ذاكرت وســـهرت واجتهدت حتى حصلت على أعلى التقديرات ، عينت معيدة ثم حصلت على الدكتوراه . أصبحت أستاذة فـــى الجامعة . ومازالت جميلة جداً ، لكنها ظلت رافضة كل عروض الزواج !

هدايا الحج

تغلبـــت متعة الحاج مدبولى بتهانى أهل الحارة له..
علـــى كل المشقات التى صادفها فى رحلة الحج . وكان لقب (حـــاج) يســـكره بلـــذة خاصـــة رغب فيها من زمن طويل ، وخاصـــة بعد أن اشترى المقهى المجاور لمنزله . وعلى كل مهنـــئ ، راح يـــوزع ســـجادة أو ســـبحة أو زجاجة عطر اشـــتراها مـــن جـــوار الحرم مباشرة. وكلما حكى لكل منهم عـــن مكـــان هديـــته، وأنه أحضرها خصيصاً له، كان يتلقى المـــزيد مـــن الدعوات بطول العمر، ودوام الصحة ، وتكرار الحجـــة المبرورة . . زاد عدد المهنئين ، بينما قلت الهدايا، حـــتى اختفـــت تمامـــاً . فكـــر فى الأمر ، ثم نادى على أحد صبيان المقهى ، وهمس فى أذنه :

- اذهـــب إلـــى حـــى الحسين ، واشتر بهذا المبلغ مجموعة من السبح ، وإياك أن يعلم أحد بذلك .

وعـــندما توافـــد المهنـــئون الجدد ، قدم لكل منهم ســـبحة ، مصـــحوبة أيضـــاً بكيفية شرائها من جوار الحرم مباشرة !

الحياة تستمر

مـــا الـــذى يجعل الموت أحياناً بهذا العنف ؟ فجأة اخـــتطف الـــزوجة مـــن وسط ثلاث بنات وولدين ، وتركهم معـــه : لا يعـــرف كيف يساعدهم ، أو كيف يحل مشاكلهم؟ كـــان يغلـــق بـــاب حجرته من الداخل ويظل يبكى حتى يجد أصواتهم تعلو . فيخرج لفض منازعة ، أو تهدئة شجار:

- فـــلان خطـــف القلـــم . وفلانـــة لبست فستانى . والأصغر عبـــث فـــى حقيـــبة الأكـــبر . والوسطى لا تريد أن ترتب الســـرير .. ومـــن الذى عليه غسيل الأطباق اليوم؟ ومن المكلف بشراء الخضار فى الغد ؟

وذات يـــوم جاء الحل المبارك من الشقة المجاورة. الحاجـــة لها ابنة أخت توفى عنها زوجها فى حادث سيارة ، ولـــم تـــتزوج مـــنذ عشـــرين ســـنة . تجـــاوزت الخامسة والأربعيـــن . وتحـــب الأطفـــال . تزوجها على الفور. وجد فـــيها الأولاد أمهـــم الثانـــية . أمـــا هو فقد لمس فيها أيضاً امـــرأة دافـــئة وحنونة . بدأ البيت يستقر . . ولم يعد يذكر زوجته الأولى إلا فى الأعياد !

العبارة الخالدة

كان يحسبها مجرد دعوة للتسلية حين طلب مــنها أن تذهب معه إلى السينما . وتأكد من ذلك حين قبلت الدعوة على الفور ، ووافته فى المكان المحــدد دون تأخــير . جلسا متلاصقين . وعندما راقــبها فى الظلام وجدها أجمل مما كان يتصور . أمسك بكفها فلم تمانع . انتهى الفيلم وقد اقتنع بأن هــذه هــى الفــتاة التى اختارها قلبه، وارتبط بها مصيره . عندما ودّعها قالت له بصوت خفيض :

– هل تعلم أنك أول شاب أخرج معه فى حياتى !

ظــل يذكــر هذه العبارة كلما تشاجرت معه حول مصروف البيت أو مستقبل الأولاد!

المقعد الخلفى

فى السينما ، لعن بائعة التذاكر التى اختارت له هـــذا المقعد بالذات . فقد وجد أمامه مباشرة رئيسه فى العمل ، مصطحباً أسرته بكاملها : زوجته السمينة جداً، وحوالـــى خمســـة أبناء وبنات. وكلهم يتناوشون وفى أيديهـــم أكـــياس اللـــب والفشـــار ، والناس من خلفهم متـــبرمون . قرر أن ينتقل إلى مقعد آخر ، لكنه فوجئ بامتلاء الصالة عن آخرها . عند أى التفاته من رئيسه ســـوف يـــراه، وحينـــئذ سيصبح جزءاً من تلك الأسرة القلقـــة ، ويـــتحمل النتائج الوخيمة لأفعال أبنائها ! بدأ الفـــيلم ، فلـــم يستطع متابعته ، وظل الأولاد يتناوشون ويتهارشون والناس من خلفهم فى ضيق شديد . وفجأة صاح أحد الجالسين :

– ألا يوجد ذوق ؟ نحن لا نستطيع المتابعة !

غـــاص فـــى الكرسى خوفاً من أن يراه رئيسه. لكنه فوجئ بالزوجة السمينة تنهض واقفة وتصفع أكبر

أبـــنائها فيلزم الجميع الصمت . لم يحرك رئيسه رأسه، ولم يلتفت لأى جانب . قبل انتهاء الفيلم بخمس دقائق ، انســحب فـــى هدوء . وعند شباك التذاكر ألقى بنظرة غاضبة على بائعة التذاكر ، التى كانت تستعد لاستقبال الحفلة التالية . .

لوعة الفراق

جاء صوته فى التليفون وهو يرتعش . سألته :

– ما الخبر ؟

– مصيبة .

لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال وهو على وشك البكاء :

– الكلب مات.

لــم أجــد أى كلمة أقولها له . ساد صمت طويل قطعه قائلاً :

– أرجوك أنا فى حاجة إليك .

وضــعت الســماعة ، وارتديــت علــى الفور ملابســى، ودون أن أخــبر زوجتى أسرعت إليه، وأنا متحير فى مساعدتى له : كيف تكون ؟ وما هى طقوس دفن الكلب ؟

كــان دائمــا يزهو به ، وفى معظم الأحيان كان يصطحبه معه إلى المقهى الذى نجلس فيه .وكنا نداعبه

بحذر ، لأنه كان كلباً ضخماً ، لا نعرف أبدا متى يرضى ومـــتى يغضـــب . دائمـــاً فمه مفتوح ، وأنيابه واضحة وحادة ، ولسانه الطويل يتدلى مع تنفس عالى النبرة . وكانـــت المشـــكلة تـــتفاقم عندما تدخل قطة عابرة إلى المقهـــى . كان يثور ويزبد ، ويكاد يقطع السلسلة، لكن صـــاحبنا كـــان يربـــت عليه ، فلا يهدأ إلا عندما تغادر القطة المقهى مذعورة من غضبة هذا الوحش الكاسر .

كـــنا فى البداية نتضايق من تواجد الكلب معنا ، لكنـــنا مـــا لبثنا أن تعودنا عليه ، ولم نعد نأبه لدهشة رواد المقهـــى ، أو ابـــتعادهم عنا . بل كان هذا يريحنا لأنـــه يتـــيح لنا فرصة أكبر للخوض فى أحاديث حرجة وحساسة.

قال لى يوماً :

– إن طعام الكلب وأدويته تكاد تبلغ نصف راتبى تقريباً.

ظننته يشكو ، فقلت له :

– ولماذا تحتفظ به ؟

نظر إلى بغضب وقال :

– إنـــه من أثر المرحومة ، وأصبح بالنسبة لى رفيقاً لا أستغنى عنه . إنه يناولنى فوطة الحمام ، ويحضر لى الجريدة التى يضعها البواب تحت باب الشقة ! !

حيـــن دخلـــت الصـــالون ، وجـــدت اثنين من أصـــدقائنا فحمدت الله ، ثم ما لبث أن دخل رجل عجوز بجلـــباب أزرق ، عرفت فيما بعد أنه الذى سيقوم بأخذ الكلـــب ودفنه فى صحراء الهرم . رحنا نواسيه بكلمات مـــتقطعة ، وعندما خرج الرجل بالكلب ، انفجر صاحبنا فى بكاء شديد ، بلغ من شدته أننى لم أعد أعرف : هل يبكى على فراق زوجته ، أم على فراق الكلب ؟ !

محاولة قــتل

لــم يعد أمامه سوى حل واحد للتخلص من ذلـــك القط اللعين الذى حوّل حياته إلى جحيم! فهو يدخــل مــن شــباك المطــبخ، ويقفز من بلكونة الصـــالون، ويتسرب من بين قدميه وهو يفتح باب الشــقة. . وفـــى كـــل مرة يلتهم الطعام ، ويكسر الأوانـــى ، ويـــبول فوق السجاجيد ! اشترى السم وخلطـــه بكمـــية لا بأس بها من اللحم المفروم ، ووضعها فى طبق على شباك المطبخ ، ثم جلس فى حجرته ينتظر قدوم القط . مرت ساعة، وساعتان ، وليلة كاملة .. وعندما قام فى الصباح ليتفقد طبق اللحم لم يجده . نظر من النافذة، فرأى كلب البواب يلتهمه . . أما القط فكان جالساً ينظف فروته بهدوء على الكنبة فى الصالون !

فى معمل التحاليل

لـم يكـن يتوقع على الإطلاق أن مجرد حالة عابرة مـن حـرقان الـبول سوف تؤدى إلى تلك السلسلة الطويلة مـن الكشوف والفحوصات الطبية ، وما يسبقها ويتبعها من إجـراءات إداريـة ، وزيـارات أقارب وزملاء، قلبت حياته رأسـاً على عقب . جلس فى معمل التحاليل منتظراً النتيجة، وراح يـتابع المترددين فوجدهم أكثر مما كان يظن . أعداد هائلـة ومستسـلمة ، كـل منهم يتسلم مظروفاً يحتوى على ورقـة مكـتوبة بالكمبـيوتر ، وفيها أرقام زرقاء وحمراء ، تشـير إلـى مدى خطورة الحالة ، دون أن توضح للمريض أى شـئ عـن حالـته ! بجواره ، جلس رجل عجوز ، راح يـثرثر عـن الصـحة والعمـر ، وأن هذا هو التحليل الرابع الذى يكلفونه به ، ثم مضيفاً :

– أن العلاج لم يؤد إلى أى نتيجة !

نهـض واقفـاً واتجـه ناحـية الـباب . نظر إليه السكرتير مستفسراً ، فقال له :

– عندى مشوار وسأعود بعد ساعة .

لكنه كان قد صمم على الخروج دون عودة !

قرآن الفجر

حين انهزم الفريق الذى يشجعه ، كان أقسى ما يخشـــاه هو الاستهزاء الذى سيقابله به زملاء العمل ، وهو الذى عاش بينهم واثقاً من فريقه ، كما كان واثقاً من نفسه .

اللعــنة ! ما الذى أوقع الفريق فى تلك الحفرة الــتى وضعت جبهته فى الأرض ؟ كيف يقابل السعاة ؟ وبمـــاذا يرد على شماتة القائلين له: تشجعْ ! بات ليلة كئيبة ، ولم يطرف له جفن . راح يقلب محطات الراديو علـــى كـــل الموجـــات فـــلا يصدر منها سوى موسيقى جنائزية ، وكأن الكون كله قد مات !

قريباً من الفجر ، بدأ يسمع خطوات جاره على الســـلم وهو فى طريقه إلى المسجد . قرر لأول مرة أن يذهب ليصلى الفجر جماعة . كانت نسمة باردة تنساب فـــى الشـــارع ، وضـــوء عـــامود النور يفرش المكان بالضوء . آنسه أن يرى بعض الأشخاص يسيرون مثله

فــى اتجــاه المســجد . هناك قابله الجميع بالترحاب ، وأفسحوا له حتى وقف فى الصف الأول . انساب صوت الإمـــام ندياً بقرآن الفجر . شعر بسعادة غامرة تفترش جوانب صدره. عاد مع جاره إلى المنزل. سمعه يقول:

– منذ عشرين سنة لم أتخلف عن صلاة الفجر.

ثم أضاف وهو يودعه:

(رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً)

رفيق السجن

انغلــق باب الزنزانة أخيراً عليهما بعد يوم طويــل من الإجراءات الصارمة . نظر إلى وجهه فوجــده شــريراً بالفطــرة . أثار سكاكين وبقايا جراحات توغلت فى الحاجب حتى قسمته نصفين . . وعــندما وصــل الطعام رآه يأكل بكل أصابعه ، ويتســاقط ما يتبقى على صدره، أما الصوت الذى كــان يصدره فهو أشبه بشخير النائم.. هو رفيق السجن الذى عليه أن يقاسمه الزنزانة لمدة ثلاث سنوات. ومَنْ يدرى فإذا انفلتت أعصابه ، قد تزيد إلى عشرين ! سأله وهو يتنازل له عن حصته من الطعام :

– كم سنة عليك ؟

أجاب بعدم اكتراث :

– تأبيدة !

لـــم يشأ أن يستفسر عن حجمها : هل هى تأبيدة كبرى أم صغرى ؟ سأله ثانية :

– هل تفضل السرير الأعلى أم الأرضى ؟

لم يرد ، وأشاح بوجهه أن اختر لنفسك ما تشاء . طبعاً هذا الحيوان يمكن أن ينام حتى على الأرض . فجســـده يـــبدو أنه لا يتأثر بالحرارة أو الـــبرودة.. وعضلاته قوية بالطبيعة . صعد لتهيئة الســـرير الأعلـــى ، حتى يتمكن من مراقبته ، ثم استدار ناحية الحائط قائلاً لنفسه :

– أكـــيد أن مـــزاملة هـــذا الشـــخص هى عقابى الحقيقى.. وليس السجن !

ساعى البريد

سـلّم ساعى البريد كل الخطابات المسجلة إلى أصـحابها فـى القـرية ، ولـم يتبق معه سوى بعض الخطابات العادية . كان النهار قد انتصف ، وعلى رأسه وحده سلّطت الشمس كل أشعتها ، فراح العرق يتصبب من جبهته ويسقط فى عينيه . استحضر ماضيه ، ولعن الـيوم الـذى أوقعه فى تلك المهنة. نظر يميناً ويساراً وإلـى الخلـف، ثـم بحـركة غاضبة قذف بالخطابات المتبقية. . فى الترعة!

عـندما وصـل إلـى المنزل ، كان أبوه وأمه وإخوتـه حول الطبلية قد بدأوا تناول الغداء . أفسحت أمـه مكاناً له إلى جوارها ، وقدمت له رغيفاً صحيحاً . سأله والده :

– هل وزعت الخطابات يا بنىّ ؟

أجاب بفتور :

– طبعاً يا أبى ، كما أفعل كل يوم. .

حديقة الحيوان

كــان يومــاً ثقيلاً بدون مواعيد ولا أقارب ولا أصــدقاء . وفجأة وجد نفسه أمام حديقة الحيوان . لم يكن قد دخلها منذ عشرين سنة. قطع تذكرة ومشى مع الناس الذين كانوا - على العكس منه - سعداء للغاية. توقــف معهــم أمام أقفاص الطيور ، وجبلاية القرود ، وبيت الفيل . . جعله الحارس يطعم الزرافة بيده . وقف طويــلاً أمام الأسد ، الذى تبادل معه نظرة ذات مغزى . عــندما تعــب، جلــس علــى العشب فى ركن منعزل . أرســلت إلــيه الأسرة المجاورة بابنتها الصغيرة ومعها ســندوتش جبــن وبــرتقالة . . شكرها على الهدية ، وتناولها بشهية . دعته الأسرة للجلوس معهم فرحب . لديهم فتاة جميلة وناضجة. لعب معها الورق . اقتربت الســاعة مــن الخامسة ، وبدأ حراس الحديقة يطلقون صفارات الإغلاق.

ودّع بامتنان بالغ كل أفراد الأسرة ، التى جعلته يقضى يوماً لم يكن فى الحسبان !

على البلاج

استلقى على كرسى البلاج ، وراح ينظر إلى آخـــر المـــدى، حيـــث الخط الذى يلتقى فيه البحر بالســـماء . وقال لنفسه لقد آن الأوان لكى يتمتع بإجازة هادئة ، بعيداً عن ضغوط العمل ، وانفعالات المكسب والخسارة. أعجبه أن يشاهد النوارس تعلو وتهـــبط دونمـــا صـــراع فيما بينها . ماذا لو كان منافسوه على هذا النحو ؟ ألا يتسع المجال للجميع؟ لكـــنهم يفرضـــون الصراع عليه فرضاً . وهو لن يـــتزحزح عن موقفه . ومن العار أيضاً أن ينهزم. لابد من المواصلة . وسوف يستخدم كل ما لديه من أســـلحة . واســـتغرقه التفكير ، فأغمض عينيه ، وغاب بعيداً عن السماء والبحر . .

الاجتماع الضائع

وصـــل قـــبل الموعــد بساعة كاملة . لم يصعد إلى مكـــان الاجــتماع . راح يتجول بجوار المكان . جلس على أول مقهـــى. طلـــب شـــاياً فلاحظ أن الجرسون متردد . نظر حوـــله فـــأدرك أن المقهى مخصص لتناول الشيشة . حسناً، أعطـــنى واحـــدة ! ابتسم الجرسون ، وما لبث أن وضع إلى جـــواره الشيشـــة ، وراح يرصّ الحجر بمهارة، ثم انصرف بأســـرع مـــا يمكن . أمسك باللّىّ ، وقرب المبسم من فمه ، مـــتظاهراً بأنـــه خبير ! فى البداية لم يجرؤ أن يأخذ نفساً ، ثـــم تشجع عندما رأى كل من حوله يفعلون ذلك. ملأ الدخان صـــدره ، وشـــعر برأســـه يصعد ويصعد حتى التصق شعره بســـقف المقهـــى ! راح يضـــرب بقدميه الأرض ليحس بأنه متماســـك ! لمـــح بعـــض الـــنظرات ترمقه ، وصاح بعضهم علـــى الجرســـون ليحضـــر له فـــنجان قهوة سادة . شربه برشـــفة واحـــدة . غادر المقهى وفى رأسه صداع متقطع . أشـــار لأول تاكســـى وأعطـــاه عـــنوان المـــنزل . نظر فى ساعته. كان الاجتماع قد بدأ منذ ساعة على الأقل !

هدية من السماء

الأحـد القادم عيد ميلادها . ماذا يقدم لها هذا العام ؟ راح يبحث فوجد أنه قد استنفذ كل الأفكار الجديدة والطريفة التى فاجأها بها فى أعياد ميلادها السابقة: الخاتم والإسورة والبروش ، والفستان والشال وبالطو الفراء ، والدعوة إلى فيلم ومسرحية ورحلة . .

أسهل شئ هو الورد ، لكنه يقدمه من وقت لآخر كلما حدثت بينهما مشكلة . فكر فى شراء رواية أو ديوان شعر لكنه عاد فتذكر ضجرها من القراءة ، واستبعد شراء لوحة فنية لعدم توافر مكان لها على جدران الشقة . لم يبق إلا أن يدعوها على العشاء فى باخرة نيلية . وعلى الفور طلب من سكرتيرته أن تحجز له مكانين ، لكنها ما لبثت أن أخبرته أنها محجوزة بالكامل . وبينما هو مشوش الذهن ، وأقرب ما يكون إلى اليأس من هدية ميلاد هذا العام ، رن جرس التليفون ، وأخبره أحد أصدقائه المقربين بأن قطته السيامى قد أنجبت أربعة ، وبإمكانه أن يأخذ واحدة منها . شكره بشدة وتنفس طويلاً وهو يحمد الله على تلك الهدية التى هبطت عليه من السماء!

دعوة غداء

عـندما دُعـى للغداء فى منزل أحد زملاء العمل ، لم يكن يدرك أن المناسبة الحقيقية للدعوة سوف تأتى بعد الغداء بحوالى ساعتين ، حيث بدأت المـباراة بيـن فريقيـن كبيريـن . ولأنه ممن لا يشـجعون الكـرة فقـد جلس فقط مجاملة لباقى الـزملاء، الذيـن انقسـموا هم أيضاً إلى فريقين متخاصمين ، يتبادلان ألفاظ السخرية والاستهزاء ، ويشـوّح أحدهمـا فى وجه الآخر ، حتى كادا فى بعـض الأحيان يشتبكان فى مشاجرة حقيقية ! لم يكن أمامه سوى أن يقوم بدور التهدئة ، ومحاولة تقريب وجهات النظر التى لم تكن لتلتقى أبداً . ومن العجيـب أن الجالسـين كـانوا يطلبون الكثير من صـاحب الدعـوة . فالـبعض يطلـب قهـوة ، والـبعض يطلـب سـجائر. وهـناك مـن طلـب كيس لب، أو قرصين أسبرين . ولحسن الحظ انتهت

المباراة بالتعادل ، وبدأ الحاضرون فى الانصراف دون أن يشكروا صاحب الدعوة. أما هو فشد على يده قائلاً:

– أرجو ألا نكون قد أتعبنا أهل البيت .

فوجئ بإجابته :

– ولا يهمك . . إنهم متعودون على ذلك ! !

أسلوب حياة . .

منذ أحيل إلى المعاش ، أصبح يصحو مبكراً، فيــنزل لشــراء الفول والطعمية والخبز للأولاد ، ويحضــر الجورنال الذى يظل يقرأه حتى منتصف الــنهار . تضايقت زوجته فى الشهور الأولى من تواجــده فـــى المــنزل ثم ما لبثت أن تعودت على أسلوب حياته الجديد، وكان قد احتدم الشجار بينهما فى البداية حول ضرورة البحث عن عمل حر ، ثم مـــا لبــث أن هدأ وكاد ينتهى تماماً عندما أدركت الــزوجة أن ما يعرض عليه من أعمال لا تليق به على الإطلاق . فبعد أن كان مدير إدارة ، هل يعقل أن يقــف فى محل موبيليا ليستقبل الزبائن ، لقاء نسبة من صفقات البيع التى ينجح فى إبرامها ؟ !

كانــت تــنظر إلــيه أحــياناً بغضــب وهو منكب على الجورنال يقرأ كل سطر فيه ،حتى صفحة

الإعلانات والوفيات ، وكانت فى أحيان أخرى تعطف علـــيه ، فتسأله إن كان يريد كوب شاى ، قبل أن يغلق الجورنال، وينطلق إلى المسجد المجاور لصلاة الظهر ، لكى يعود بعدها لمتابعة مباريات كرة القدم فـــى الـــتلفزيون ، ثـــم يتعشى ، ويتناول دواءه ، وينام..

الأخوان

ترافقا فى نفس الغرفة منذ الطفولة الباكرة ، وفى المراهقة ، وطوال الشباب . وها هو يتزوج ، ويــترك مكانه على السرير المقابل . كيف ستكون الحــياة من بعده ؟ كان يفضى إليه بكل همومه . وهو الذى كان يتصدى لحل جميع مشكلاته ، حتى مـــع والدهما . أما حبه العاثر فهو الذى أخذ بيده حتى تخلص منه ، أو كاد . . مع منْ سيتحدث إلى منتصفَ الليل ، وحتى ينام؟ بدت الغرفة فى الليلة الأولى واسعة ، وفارغة ، ومليئة بالرطوبة . ترك الــنور مضــاء ، وحاول القراءة فلم يستطع . مر علـــى محطـــات الـــراديو فلم يعجبه شئ . راودته مشــاعر مضـــادة تجـــاه أخيه الأكبر ، الذى خان صحبتهما الطويلة بهذا الشكل المفاجئ . لكنه كان عليه أن يدرك ذلك منذ لحظة الخطوبة ، ومـــا تلاها

من الإعداد للزواج . . سنتان كاملتان وهو يحدثه
عن هذا الحدث الذى لم يشعر بفداحته إلا الليلة . .
فى الصباح ، لم يعرف أنه لم ينم بالكاد سوى ساعة
أو بعض ساعة . فتحت أمه عليه الباب لتقول له :

– " عقبال ما اشوفك يا حبيبى عريس زى أخوك "!

ذهاب - عودة

مضـــى وقــت طويل جداً دون أن يتمشى وحده على كورنيش النيل . وأمام مبنى التليفزيون وجد زحاماً شديداً فانحشر فيه ، وقطع تذكرة فى الأتوبيس النهرى الــذى يذهب إلى القناطر. راح يمنى نفسه بمغامرة مع فــتاة مــن بيــن هذا الحشد الكبير . لكن عندما تحرك القارب، وجد كل فتاة فى صحبة شاب . كانوا يرقصون ويغنون وهم فى غاية السرور . لمح فى نهاية المقاعد شــاباً فـــى الثلاثيــن وهو منفرد بسيدة فى الخمسين . تأملها فلم يجد فيها أى مسحة من الجمال ، لكنها كانت تــرتدى كمــية كبيرة من (الغوايش) فى يدها السمراء الممتلــئة . كانــت متمنعة جداً ، والشاب لا يتوقف عن الهمس فى أذنها . بمرور الوقت راحت تصغى لما يقول دون أن تنظر إليه . إهمال ولا مبالاة ، يقابلهما مثابرة وإصرار .

عندما وصل الأتوبيس إلى القناطر ، وجد نفسه يتبعهما دون أن يشعرا به . الشاب يشترى الترمــس

ويعطـــيه للسيدة . ثم يشترى عود قصب ويكسره لها ، وأخـــيراً يدعو أحد المصورين لكى يلتقط لهما صورة. يبدو أن السيدة استجابت. خفت حدة المتابعة ، ولم يعد لها معنى !

فى طريق العودة ، كانا يحتلان المقعد الأمامى ، تعمـــد الجلوس خلفهما مباشرة . راحت السيدة تتحدث والشـــاب صامت، وعندما وجدته قد استغرق فى النوم، أخرجت من حقيبتها منديلاً وفردته على وجهه!

موت أستاذ

فــى اللحظــة التى أعلن فيها حصوله على الدكتوراه ، هوى على يد أستاذه يقبلها . ويومها اندهش الحاضرون، لكنهم أثنوا على حسن أدبه ، وشدة امتنانه لهذا الأستاذ الذى تبناه منذ كان طالباً فــى الجامعة ، وشجعه على التفوق ، واختاره فى نفس القسم العلمى الذى يرأسه ، كما قدم له الكثير مــن النصــائح والتوجيهات حتى جعله ينطلق فى طريقه مثل الصاروخ ، ويسبق سائر زملائه.

دار الــزمان دورتــه . وأحيل الأستاذ إلى المعاش ، وأصبح يحضر إلى القسم كأستاذ متفرغ ، فــيلقى معاملة يمتزج فيها العطف بالعرفان ، ولا تخلــو أحياناً من بعض الضجر ، يسرى فى كلمات بعض الأساتذة الشبان، أو يتمثل فى اللامبالاة من جانب المعيدين الجدد.

كبر تلميذ الأمس ، وأصبح رئيساً للقسم .
فرح الأستاذ كثيراً، وتوقع أن يلقى على يديه مزيدا مـــن الاحترام ، لكنه وجده قد صار أعلى صوتاً ، وأكـــثر عدوانـــية . وكانت المفاجأة حين عقد أول اجـــتماع ، فطلـــب من أستاذه القديم أن يخرج من الجلســـة لمناقشـــة موضوع خاص! خرج الأستاذ محبطاً ، وذهب إلى بيته وقلبه فى صدره ينتفض .
لم يأت عليه الليل حتى كان قد فارق الحياة !

تصبحين على خير !

رجعا من الحفلة فى غاية الإرهاق ، لكنهما ظلا ساهريْن يتحدثان عن الأصدقاء القدامى ، والجدد الذين تعـرفا علـيهم . راحت زوجته تتحدث بدون توقف عن الفسـاتين والحلـىّ والإكسسوارات، وتنتقد الكثير من التصرفات والتعليقات ، وهو سارح فى امرأة واحدة، لم تستطع زوجته أن تجد فيها عيباً . وكيف يوجد ؟ وهى كاملـة الأوصـاف : الشِـعر ، والوجـه ، والصـدر، والخصـر، والسـاقان . . أما حديثها فيأخذ بالألباب ، ويتمنى من يسمعها ألا تتوقف أبداً عن الكلام .

وفجأة سكتت الزوجة ، ثم واجهته بحسم :

– ما رأيك فى فلانة ؟

– فلانة من ؟

– لا تتظاهر بالبراءة.

– أبدا والله، هل تقصدين ...

– أجـل أقصـدها . رأيـتك تلتهمها بنظراتك ، وطوال الطريق وأنت تفكر فيها !

– هـل تقرأين أيضاً أفكارى ؟ أرجوك دعينا من دوشة الحفل ، فإن النوم يغالبنى .

– لا نوم حتى تصارحنى !

– بأى شئ ؟

– أنك معجب بها .

– أقسـم لـك إنها امرأة عادية ، وكل ما فى الأمر أنها كانت تتحدث وكان علىّ أن استمع إليها .

– طيب احلف أنك مازلت تحبنى ؟

– والله أحبك ، ولا أحب أحداً سواك .

ثم وهو يلفها بذارعه :

– وسـوف أحبك حتى آخر العمر . لكن دعينا فقط ننام ولو ساعتين . . تصبحين على خير !

الهرم الأكبر

فى المرة الأولى التى ذهب فيها إلى الهرم ، لم يره إلا من بعيد. كان الطريق إليه غير مسفلت ، ولا يوجد على جانبيه أى حنفية ماء ، كما أن زجاجات المياه المعدنية لم تكن قد ظهرت بعد! أحس بالعطش الشديد فى منتصف الطريق . صمم على العودة مع اثنين من أصحابه . جلس الثلاثة يتحدثون فى انتظار باقى زملاء الرحلة . عاد إلى المنزل مكتفياً بمتعة الصحبة .

فى المرة الثانية ، كان برفقة أحد الأجانب . راحا يتجولان بالسيارة حول الأهرامات الثلاث . وتوقفا طويلاً عند الهرم الأكبر، الذى بدا عملاقاً يتحدى الزمان. أما أبو الهول فتمدد وسط الصحراء بجسد أسد، ووجه إنسان جميل .عاد إلى المنزل وهو يشعر بالزهو من إعجاب الأجنبى بأهم معالم وطنه !

أما المرة الثالثة ، فجلس إلى جوارها على أحد أحجار الهرم الضخمة ، وراحا يرصدان خطوات الحضـــارة ومسرى الخلود! غربت الشمس فأمسك بيدها وراحا يتحدثان عن المشاعر المتبادلة ، وكيف تتحول إلى حب . .

مرت الأيام . . والهرم الذى فى صدره يكبر، حتى أصبح يضارع هرم خوفو الأكبر !

الشقة المتميزة

كـــان للشـــقة الجديـــدة التى اشتراها فى الدور الأرضـــى عيوب كثيرة ، راحت تشكو منها زوجته . أما هـــو فقد كان يجد فيها ميزة كبيرة: فمن العين السحرية يســتطيع أن يـــرى كـــل نســـاء العمارة وهن يخرجن ويدخلن، حتى أصبح على دراية كاملة بهن ، وأيضاً بما تـــتفرد بهن البعض من مفاتن. وكان من أشد ما يحزنه أن تقيم زوجته علاقة مع إحدى الجارات القبيحات ، فى حين أنها تحرص على عدم الاختلاط بالجميلات . وذات يـــوم طرقـــت الباب مدام (. . .) ساكنة الدور الرابع ! استقبلتها زوجته بالكثير من التحفظ ، ثم طالت الجلسة، فحـــل محلهـــا انســـجام أســـعده إلى أبعد حد . بعد أن انصـــرفت ســـألها بلا مبالاة عن سبب الزيارة ، فراحت تحكـــى له عن عمل زوجها الدائم فى الخارج ، وتأخره أحـــياناً فـــى إرســـال الشيكات ، ومشكلات الأولاد التى ينـــبغى أن تواجههـــا وحدهـــا ، لأن أهلها يعيشون فى البحيرة .

ســـعد كثــيراً بهــذه المعلومات ، وراح يتلمس الطــريق لاستغلالها ، ولم يكن يتصور أنه سيتواجد فى شقة صاحبتها بعد أيام قليلة فقط . أما هى فقد استقبلته بترحاب شديد ، وعرفت أبناءها به ، وعند الباب قالت له هامسة :

– دعــنا نراك من وقت لآخر، بشرط ألا يسبب ذلك أى إزعاج للمدام . .

هــذا بالضبط ما كان يود أن يسمعه . نزل على السلم قفزاً ، وعندما دخل شقته بادر زوجته قائلاً :

– هل تعلمين أن هذه الشقة التى لا تعجبك . . قيل لى إنها تساوى ضعف ثمنها !

صوت من الماضى

عقدت الدهشة لسانه حين أخبره السكرتير أن مدام (...) قد اتصلت به ، وهو فى الاجتماع ، وأنهـا سوف تعاود الاتصال بعد ساعة. لم يجلس على كرسى المكتب ، وألقى بجسده على الأريكة ، ثـم راح يـتذكر كـيف بدأت علاقته بها ، وكيف تطورت ، وكيف انتهت؟! من المؤكد أنه هو الذى خرج من التجربة مجروحاً ، وأنها هى التى اختارت مصـيرها بنفسها . بعد فترة طويلة ، التمس لها العذر ، فقد فضّلت الآخر عليه ، لأنه لم يكن يملك يومهـا سـوى مجموعة من الوعود بحياة هانئة يظللها الحب . أما هى فقد رغبت فى الحياة العملية التى تقوم على المال . وهذا ما دفعه إلى أن يدوس على مشاعره من أجل جمعه وتكديسه ، حتى أصبح أغنى من زوجها بمرات . . لكن ماذا وصل إليه ؟ بل إنه يتمنى أن يعرف ماذا وصلت هى إليه ؟ يبدو

أن الحياة كانت قاسية عليهما معاً ، وأن طريقيهما سيتقاطعان فى نقطة حاسمة. ووجده يسأل نفسه: هل يمكن أن يجدد علاقته بها، متنازلاً عن أسرته ؟ دق جرس التليفون . جاء صوتها عميقاً ودافئاً كما توقعــه . سألها عن أحوالها لكنها أسرعت بعرض مشــكلتها التى لم تجد أمامها من يحلها سواه : ابنها يرغب فى الالتحاق بأحد البنوك ، ويحتاج إلى توصية منه . قبل المعاونة بترحاب شديد ، ووجد نفسه يقول لها :

– اعتبرى المسألة منتهية . إنه مثل ابنى تماماً ! !

الزوج الغاضب

كـيف فعل هذا بنفسه ؟ لم يشعر إلا وهو يحلف بـالطلاق علـى ألا يـنام تلك الليلة فى البيت . صمتت زوجـته تمامـاً . وسـكت جمـيع أبـنائه وبـناته ، والمـتزوجون منهم قالوا له : حسناً . تعال إذن عندنا. لكـنه رفض ، وارتدى ثيابه ، وخرج غاضباً . سار فى الشـوارع حـتى تعـب . فجلس على مقهى فى ميدان الحسين . راح يشاهد الناس والباعة والسائحين . ابتعد مؤقـتاً عـن مشـكلته . لكنه عاد يسأل نفسه : لماذا وصـلت الأمور إلى هذا الحد ؟ لقد كان الخلاف مع أم الأولاد يحدث من وقت لآخر ، لكنه فى هذه المرة دفعه إلى أقصى مدى ! ثم عاد يتساءل : وماذا سيفعل الآن ؟ وأيـن يقضى الليلة . وقد رفض المبيت عند أحد أبنائه وبـناته ؟ أمامه لوكاندات الحسين . دخل واحدة منها . سـأل عـن حجرة مستقلة فوجد. سأل عن السعر فرآه مناسـباً جداً. لكن هناك مشكلة صغيرة ، وهى أنه من سكان القاهرة ، وتشترط اللوكاندة أن يأتى لهـا بإذن

خاص من قسم البوليس ؟

– لماذا ؟

– هكذا اللوائح !

خـــرج مـــتوجهاً إلى القسم . فى الطريق أحس بإرهاق شديد. أسند جسده إلى سور مسجد عتيق . فى آخـــر الشارع ظهر اثنان من أبنائه، فأدرك على الفور أنهمـــا يبحثان عنه . حمد الله من أعماق قلبه. عندما وصلا إليه لم يرفض السير معهما . قال الابن الأكبر :

– والله يا بابا سوف ترتاح عندى جداً . وسأبعد الأولاد عنك تماماً.

لكنه شعر بسعادة كبيرة عندما قال الابن الأصغر :

– إن ماما لم تكف عن البكاء منذ خرجتَ . .

لقاء ناجح . .

حان دوره . بعدم اكتراث أشارت له السكرتيرة المتأففة . حشد كل ثقته فى نفسه ونقر على الباب بأدب جـــم ثم فتح ودخل . الحجرة واسعة ، ومكيفة ، ومليئة بالصـــور والـــتذكارات ونـــباتات الظـــل ذات الأوراق العريضة. لم ينظر إليه المدير. سمعه فقط يقول :

–تفضل . أى خدمة ؟

رد بتلعـــثم شـــديد أنـــه منذ فترة طويلة ، كان يرغـــب فـــى رؤية سعادته ، وأن الظروف وحدها هى الـــتى كانـــت تحول دون ذلك ، ثم إن سعادته سافر إلى الخارج لمدة شهرين أو أكثر . قاطعه المدير:

– وها أنت قابلتنى ، ما هو طلبك ؟

أجـــاب بأنـــه يحمل للشركة حباً جماً ، ومشاعر عمـــيقة جـــداً، وأنـــه أعطـــى لها كل حياته إلى حد أن زوجـــته تعاتبه كثيراً على عدم السفر إلى الخارج ، أو العمـــل بعـــد الظهر فى مكان آخر لتحسين دخل الأسرة

بســب تعلقــه الشــديد بالشركة ، ثم وجد نفسه يقول للمدير :

– والله العظــيم يــا باشــا إنــنى أحبك ، وقد كتبت فى مذكراتى أنك أعظم إنسان عرفته فى حياتى ! !

طــارت من ذهن المدير كل المشاغل الأخرى ، وراح يصغى لهذا الموظف الذى لم يقابله قط . ما سبب ذلك كله ؟ وما الهدف الذى يسعى إليه؟ لكنه تحت تأثير كلمات الثناء والمديح المتواصلة سأله بهدوء :

– وماذا تريد يا أستاذ . . .

– صــبرى يــا باشا . . خادمك الأمين صبرى . كل ما أطمع فيه أن تلحقنى بمكتب سيادتك لكى أخدمك طول العمر. وسوف تجدنى رهن إشارتك

– حاضــر يــا سيد صبرى . . اذهب الآن إلى مكتبك ، حتى أهيئ لك مكاناً عندنا .

ألقــى بنفسه على يده فقبلها، وعندما خرج ، نظــر للســكرتيرة المتأففة ، وهو يتساءل: ماذا ستفعل عندما أزاملها فى المكتب ؟!

زيارة الأحلام

بمجرد أن أعلن الخبر لأسرته فى المنزل ، عن زيــارة الشاروني بك ، حتى راح كل واحد منها يتخيل الحلــم الذى سوف يتحقق من هذه الزيارة . قال الابن الأكــبر لنفسه : تلك هى الفرصة التى جاءت إلى بابنا . فســوف أعــرض عليه مشروعى لكى يقوم بتمويله ، وقال الإبن الأصغر ، المتخرج من الجامعة حديثاً : الآن يمكن أن يقوم بتعيينى فى إحدى شركاته، وسوف أقول لــه إنــنى أفضــل شركة سياحية ، حتى تتاح لى كثيراً إمكانــية الســفر إلــى الخارج . وتوقعت الإبنه الكبرى خــيراً، لأن الشــاروني بك ، هو الذى يستطيع أن يقوم بنقل زوجها إلى العاصمة ، بعد أن باءت كل المحاولات الســابقة بالفشــل . أما الأم ، فقالت لنفسها : ما سبب هذه الزيارة غير المتوقعة ؟ إنها تعلم أن الشاروني بك له ثلاثة أبناء ، وأن الأكبر منهم لا يزيد عن سن ابنتها الثانــية سوى عام أو عام ونصف . لماذا لا تكون هذه الــزيارة لكى يتعرف على ابنتها ، ولعل وعسى يخطبها لابنه البكر . . وفجأة سألت زوجها :

– هل الشارونى بك سيأتى وحده أم معه أحد ؟

– لا أدرى، فقد طلب منى العنوان وحدد الموعد فقط.

– ألم تسأله إن كان سيصحب ابنه أم لا ؟

– ولمــاذا يا امرأة . . هل هى زيارة أم خطبة زواج ؟
مصت شفتيها قائلة :

– هكذا أنت ، لا تريد أن تسعى أبداً فى مصلحة أبنائك !

عــندما جلس الشارونى بك معه فى الصالون ، تــزاحم أفراد الأسرة خلف الباب لمتابعة الحديث ، الذى ظهــر أن الغرض الأساسى منه هو البحث عن شخص يقبل أن يتبرع بكليته ، لقاء مبلغ كبير من المال !

الاسطوانة المشروخة

انــتهى العزاء ، وصعد أهل المتوفى إلى الشقة ليســتريحوا من عناء يوم شديد الإرهاق. كانت الزوجة مــا تزال ذاهلة والابن الأكبر صامتاً . أما أزواج البنات الــثلاث فراحوا يتحدثون بصوت عال ، وصرح بعضهم بأنه جائع . أحضر العشاء ، والتف الجميع حول المائدة الــتى امــتلأت بــاللحوم والدجاج . قال زوج الصغرى لحماته :

– والنبى يا حاجة لابد أن تأتى لتقيمى عندنا عدة أيام .

فبادره زوج الوسطى :

– هل جننت ! المفروض أن تظل فى البيت هنا أسبوعاً على الأقل لتلقى العزاء !

وهنا أسرعت الصغرى مدافعة عن زوجها :

– إننا فقط نريد أن نخرجها من الحالة التى هى فيها !

قال زوج الكبرى :

– الأصول أن تبقى فى البيت حتى الأربعين ، وأن نكون جمـــيعاً إلى جوارها ، فسوف تحتاج لاستخراج إعلام الوراثة والعديد من الأوراق .

وعقبت الابنة الكبرى:

– وحتى يأخذ كل واحد حقه بدون نزاع ..

هنا فقط رفعت الزوجة الذاهلة وجهها ، وتبادلت مع ابنها الكبير نظرة حزن مليئة بالدموع !

تسريحة الكوافير

تجـــاوزت الأربعين بسنتين ، وها هى لأول مرة فـــى حـــياتها تذهـــب إلى الكوافير . قالت لها القريبات والجارات :

- لابد من ذلك .

وشهقن :

- كيف تحضرين فرح ابنتك بدون تصفيف شعرك . الكل سيتكلم !

أخيراً اقتنعت مضطرة ، واستأذنت زوجها الذى لم يمانع . فهى ستذهب مع العروس وتعود بها . كانت بيضـــاء البشـــرة ، ولهـــا شعر فاحم يتدلى فى ضفيرة مكتنزة حتى وسطها . وعندما شاهدها الكوافير اندهش من جمالها ، وصمم أن يجعل منها تحفة تسر الناظرين.

تزوجـــت قبل العشرين . ولم تحضر من قريتها إلـــى العاصمة إلا فى صحبة زوجها ، وظلت فى منزلها ترعاه ، وتربى الأولاد حتى تخرج الولد والبنت مـــن

الجامعــة ، ومــا زال الصغير فى الإعدادى . لم تبهرها حــياة المدينة ، ولم تألف الحفلات . لذلك حافظت على نظام معيشتها أقرب ما يكون إلى الريف ، لولا ما أدخله الأولاد على البيت من تحسينات .

كانــت تخشى جداً من خروج ابنتها مع زميلها قــبل الخطــبة . لكن الله استجاب لدعائها وعمل الولد بأصله . الزواج يتم الليلة . وتفرغ من مشكلات البنت.

فى الحفل ، كانت قبلة الأنظار . وراح المعازيم يسألون : من هذه المرأة الجميلة ؟ زوجها نفسه أحس بالــزهو لكــنه تظاهــر بعدم الرضا . كثير من النساء ســألنها عــن الشامبو الذى تستخدمه، والكوافير الذى تذهب إليه . . كانت تتهرب من الإجابة لأنها لا تعرف . عــندما عــادت إلــى المنزل ، ودخلت حجرتها، سألت زوجها بخبث:

– هل تعجبك هذه التسريحة ؟

– لا بأس . لكن الحمد لله أننا زوجنا البنت !

حياة خلف النافـــذة

كانــت سعادته بالغة حين اختار عصفوران الضــلفة المغلقــة من نافذته ليقيما خلفها عشهما الجديــد . وجــد فى الحدث فرصة نادرة لملاحظة العصــفورين عــن قرب ، ومشاهدة ما يحدث فى العــش من خلف الضلفة ، بل قرر ألا يفتح ضلفة الــنافذة الأخرى حتى لا يزعجهما. كان يجلس فى العمــل وهو يفكر فى العصفورين : كيف يتبادلان الحب ؟ ومتى تضع العصفورة بيضها فى العش ؟ وذات يــوم نظــر من خلف الضلفة فوجد بيضتين صــغيرتين ، لم تلبث أن جاءت العصفورة فجلست علــيهما . أمــا العصفور فكان يأتى ويروح حاملاً لزوجــته حــبة قمح أو فراشة ميتة . . عدة أيام وفقــس البــيض كائنيــن مــن لحــم أحمر ليس لهما عيون ، فقط أفواه مفتوحة تستقبل الطعام من

والديهمـــا بشراهة . . ثم عدة أيام أخرى واكتسيا بالريش، وأصبحا لا يتوقفان عن الزقزقة. شاهدهما وهمـــا يحاولان الطيران ، بل رآهما وهما يطيران مـــن العش ولا يرجعان إليه . لم يلاحظ أى حزن علـــى الأبوين اللذين راحا يهيئان العش من جديد لاستقبال بيضتين جديدتين . .

مرضى لا يشتكون

لـــم يكن طالباً متفوقاً فى كلية الطب . لذلك تخرج فيها بأقل تقدير ، ثم عمل فى وزارة الصحة. لــفَ ودار فى عدد كبير من القرى والمحافظات . وأخيراً استقر به الحال فى العاصمة . فكر فى فتح عيادة خاصة ، وساعدته مدخراته فى الفوز بمكان متميز على مقربة من وسط البلد . استدعى مهندس ديكور لتجميل المكان حتى أصبح فى أبهى صورة. حدد الكشف بخمسين جنيهاً والمستعجل بسبعين . قـــبل المرضى ولم يشتكوا . فى نهاية العام احتاج إلـــى تغيـــير شقته فى المعادى . رفع الكشف إلى ســـبعين ، والمســـتعجل إلـــى مائة . استمر إقبال المرضـــى. ارتـــبط بمشروع زراعى على الطريق الصحراوى . المشروع يحتاج إلى المزيد من المال

باســتمرار. جعــل العادى مائة ، والمستعجل مائة وخمسين. اتصل به أحد أستاذته السابقين معاتباً :

– ما هذا الذى تفعله ؟ لقد أصبح أجرك يتساوى مع أكبر أطباء البلد !

رد بهدوء شديد :

– أســتاذنا الفاضل ، مرضاى لا يشتكون . وكذلك المرضى لدى أكبر أطباء البلد !

قانون الصدفة

ما الذى دفعه فى هذا الوقت بالذات حتى يتوقف لــدى هذا الشخص بالذات لكى يملأ ولاعته بالغاز ؟ لا شــك أنـــه القدر المكتوب عليه منذ الأزل . فقد داهمت الشـــرطة المكـــان ، وحملـــت كل من التف حول مصلح الولاعـــات إلى قسم الشرطة، وهناك تكشفت المصيبة . فالـــرجل مـــوزع مخـــدرات تحت ستار ملء الولاعات بالغـــاز. وبالتالى فإن الزبائن يلتفون حوله بحجة ملء ولاعـــاتهم بيـــنما هـــم فـــى الواقع يحصلون منه على المطلـــوب ! فـــى قســـم الشرطة لا يجدى القسم بسائر المقدســـات ، ولا التمسح بكل العلل والمبررات . . فقط الوظـــيفة شـــفعت له فى الاتصال بأحد الأصدقاء الذى أسرع بالوقوف إلى جواره . أما الفرج الأكبر فجاء فى الـــيوم الـــتالى من اعتراف التاجر نفسه أمام النيابة أن هذا الرجل المحترم ليس من زبائنه !

بعد المعاش

لـم يكـن يوم خروجها على المعاش صعباً . . الأصـعب مـنه كان بعد ذلك بأسبوع ، حين ذهبت إلى الـنادى ، وجلسـت فـى ركن منعزل ترقب الجالسين ، وترشـف مـن فـنجان القهوة السادة . تذكرت بشدة زوجها المتوفى منذ سبع سنوات . لكنها طمأنت نفسها بوجـود بـناتها المتزوجات، وأحفادها الثلاثة . . ومع ذلك أدركت أنها سوف تشعر بالوحدة أكثر مما مضى . وعلـيها وحدها أن تقاوم أيام الصيف الطويلة ، وليالى الشتاء الجامدة . يبدو أن عليها أن تسرع بالاندماج فى أى شـلة من نساء النادى بشرط ألا يتدخلن فى تفاصيل حـياتها . هـل كـان أخوها الأكبر محقاً حين نصحها بالـزواج مـن صـديقه الأرمل ؟ كيف هو الآن ؟ هل تـزوج؟ إن أخاها لم يتصل منذ فترة ، عليها أن تعاود الاتصال حتى تطمئن عليه ! !

القطة الشرسة

تعـرف عليها فى سباق الخيل . كانت وحدها ، وجميلة جـداً، ومتوترة للغاية . حاول تهدئتها فاستجابت، وأمسك بيدها فاستكانت كقطة وديعة. كانت قد خسرت كل ما راهنت عليه . تشجع فدعاها على الغداء . قبلت بامتنان .عرف منها أنها من أسرة ثرية جداً ، وأنها مطلقة مرتين.

– كيف حدث هذا ؟

أجابت ببراءة :

– قسمة ونصيب ! ليس لى مع الرجال حظ .

– لكن ألا تفكرين فى الزواج من جديد ؟

– إذا ظهر من يفهمنى جيداً . فأنا بسيطة جداً ، لكننى متعلقة بالسباق . لا أستغنى عنه أبداً . ماما هى السبب . كانت تصحبنى وأنا طفلة ، وهى التى أودعت فى نفسى حب الرهان. وعلى فكرة بابا يعطينى كل ما أنفقه فى السباق .

– لكن ألا توجد هواية أخرى تحولك عن ذلك ؟

– جربـــت كل شئ. الخيل هى حياتى. ولا أجد نفسى إلا فى الرهان عليها.

كانت تتحدث بعصبية ويداها ترتعشان، بدأ يفهم لمـــاذا تركها الزوجان السابقان . وفى طريق عودته ، تخـــيل نفســـه فـــى مكانهما ماذا يفعل مع هذه القطة المدللــــة . . بـــل إنها قطة شرسة ، لا يستطيع أحد أن يثنـــيها عمـــا تـــريد؟ أخـــرج مـــن جيـــبه ورقة أرقام التلـــيفونات، الـــتى أعطتها له ، ومزقها قطعاً صغيرة . قـــذف بهـــا من نافذة السيارة ، وراح ينظر إليها وهى تتطاير فى الهواء !

فاهمه يا خضره ؟ !

أخـــيرا تحققـــت رغبتها فى الحصول على خادمة . كان أهم مشوار لديها أن تصحبها معها إلى النادى لكى تشاهدها جميع الصديقات ، اللاتى كن يـــتفاخرن أمامهـــا بامتلاك خادمات، بينما كانت لا تســـتطيع أن تجاريهـــن فى ذلك ! الآن هى سيدة كاملـــة، ولهـــا خادمة تراعى طفليها، وتحمل لها الحقيبة. لم يكن أمامها سوى مشكلة واحدة صغيرة، لكـــنها بـــدت لها صعبة للغاية : أن تهندم الفتاة ، وتختار لها اسماً عصرياً بدلاً من (خضره) الفلاحى! وقـــع اختيارها على (سوسن) . فى المنزل راحت تحفظهـــا بصـــعوبة اسمها الجديد . وكذلك أجبرت طفلـــيها على نطقه ، وعندما أخبرت زوجها بذلك ســـكت ولم يعلق . أمام صديقاتها فى النادى نادت علـــى الفتاة باسمها الجديد فلم ترد . قالت إحدى صديقاتها بتهكم :

– يبدو أن الفتاة طرشاء !

أقســـمت لهـــن أنـها تسمع . تعجب الجميع منها: كيف تسمع اسمها ولا ترد ؟ !

فى الطريق شدت أذن الفتاة بغيظ قائلة لها :

– إياك ألا تردى مرة أخرى حين أناديك بـــ سوسن. فاهمة يا خضره !

فى المصيف

قرر أن يخرج إلى المصيف هذا العام . فقد استطاع أن يدخر كل ما حصل عليه من مكافآت تشجيعية ومنح ، مضيفاً إليها نصيبه من إيجار الأرض . كانت أسرته فى غاية الفرح : الزوجة، والبنتان والولد الصغير . وقبل يوم السفر سهروا طوال الليل وهم يضعون كل حاجياتهم فى السيارة الـ 128 حتى امتلأت عن آخرها ، وفوقها وضعوا عجلة الولد بجوار الشماسى .

كان اليوم الأول على البلاج أكثر من رائع ، نزل مع البنات إلى البحر ، أما الزوجة فكانت تجلس مع الولد على الشاطئ، موفرة لهم المناشف ، والسندوتشات ، وترمس الماء. فى المساء أخبرته عن رغبة الأولاد فى أكلة سمك . ذهب من الصباح الباكر إلى محل السمك ، فوجده مزدحماً

بالمصطافين . وبينما راح يدقق فى الأسعار فوجئ بيد تسقط على كتفه ، ثم قبلات وعناق وأسئلة عن متى عاد من الخارج ؟ وكيف وجد القاهرة ؟ وأين يـــنزل فى المصيف ؟ وعندما اقترب دورهما تقدم صـــديقه القديـــم فطلب بصوت عال : أربعة كيلو جمـــبرى وخمسة كيلو بورى وثلاثة كابوريا وأن يحملهـــم الولد إلى المرسيدس البيضاء . . أما هو فقد همس فى أذن البائع:

– اثنيـــن كيلو سردين ! ثم نظر إلى صديقه كأنما يعتذر :

– أصل الأولاد عندى لا يحبون السمك !

حلم ليلة صيف

صحا من النوم ، وقد اكتمل الحلم الذى مر به فى الثلث الأخير من الليل . وجد قلبه يدق بعنف لأنه كان يجرى فى المشهد الأخير ، محاولاً الهرب مــن الموقف المحرج الذى وقع فيه . كان له جار يصغره كثيراً ، ولديه فتاة فى سن المراهقة ، وكان عــندما يــرى وجههــا فى الشرفة يحس أنه أكثر الوجــوه إضاءة فى العالم . كانت الفتاة تنمو وهو يراقبها ، وكثيراً ما لاحظت ذلك فكانت تبتسم له . . وأخيراً حدثت المعجزة: تعارفت الأسرتان ، وطلب منه والدها أن يساعدها فى دروس اللغة الإنجليزية. أصبحت تأتى إليه فى المنزل، ويظل يشرح لها على مــدى الساعات من غير أن يحس بمرور الوقت، ودون أن يملّ من النظر إليها . . كيف يحدث ذلك ؟ إنه فى الخمسين وهى فى السادسة عشر ! ! وعندما

انـــتهى الامتحان ، ونجحت ، توقفت عن المجئ . قرر فى إحدى ليالى الصيف أن يقابلها بأى شكل: أشـــار إلـــيها من النافذة أن تأتى ، فقالت إنها لا تستطيع . قرر أن يذهب هو إليها . فتحت له باب الشقة فدخل همست إليه أن والديها فى حجرتهما فلـــم يهتم . استقر فى غرفتها وجذبها بكل شوق إليه . . سمع وقع أقدام تقترب من الحجرة . أشارت إلـــيه أن يختبئ فى الشرفة . سمع صوت والدها يـــتحدث إلـــيها . جمد الدم فى عروقه. قفز على عـــامود النور الملاصق للبيت وهبط عليه . أسرع يجرى فى الشارع وهو بالبيجامة . دخل غرفته . وألقى بجسده على السرير . استيقظ وقلبه يدق من الخوف !

الإنسان المحمول

أقســم لى أن فلاناً ، صديقنا القديم ، قد أصبح مدمــناً للتلــيفون المحمــول بصورة جنونية ، وعندما سألته :

– ما معنى هذا الجنون ؟ وإلى أى حد ؟

أجابنى بكل تأكيد :

– إنــه لا يتركه من يده صباح مساء . يدخل به دورة المياه ، ويضعه إلى جواره على المخدة ، ويتكلم فيه وهــو جــالس فى السيارة ، أو سائر على قدميه . . والمصــيبة أنــه لا يرد فقط على المكالمات ، بل إنه عندما لا يسمع من يحدثه، يقوم هو بطلب المكالمة ، وحين يجد وقت فراغ ، يبعث برسائل مسجلة .

لم أجد فى حالة صاحبنا شذوذاً خارجاً إلى الحد الذى وصف لى ، لكننى انتظرت حتى جاء لزيارتى على الغداء . وكل ما لاحظته فى البداية أنه يمسك المحمول بيده ، ولا يضعه إلى جواره ونحن نتحدث . وعندمــا

وضـــع الطعام ، راح يأكل بيده اليمنى ، بينما المحمول في اليسرى . وبالتأكيد كان يجد صعوبة في استخدام يد واحدة على المائدة . قلت له :

– لماذا لا تترك المحمول جانباً ؟

– لا توجد مشكلة .

ووضـــعه أمامـــه بين الأطباق . لكنه عندما رن أســـرع بالـــتقاطه ، وراح يتحدث فيه . خمس دقائق ، عشـــر . وأنا آكل وحدى ، بينما هو يتحدث . والعجيب أنـــه طوال هذا الوقت لم ينظر إلى ، حتى يلاحظ ضيقى من تصرفه . أو لعله كان يدرك ذلك فلم يفعل .

فـــى الطـــريق إلى الباب ، سلمت عليه بفتور . لكـــنه أيضـــا لم يلاحظ . وعندما أغلقت الباب وراءه ، سمعته يتحدث في المحمول وهو على السلم . .

دموع الفرح

كان العام هو أسوأ أعوام حياته فقد كان لديه ثلاثــة أبــناء على وشك اجتياز مراحل التعليم الثلاث : الأصغر فى الابتدائية . والأوسط فى الإعدادية ، والأكبر فـــى الثانوية العامة . ولأنه لم يستطع أن يوفر لهم كل مـــا يحتاجونه من الدروس الخصوصية ، فقد وضع يده على قلبه ، وتحمل ضجر وشكوى زوجته، التى كانت لا تـــنام اللـــيل ، خوفاً على مصير الأولاد . قبل الامتحان بأسبوع ، جمعهم فى حجرة النوم وقال لهم :

– اســـمعوا يا أبنائى . أنتم تعلمون أنكم أغلى ما أمتلكه فـــى الحـــياة ، وقد حاولت أن أهيئ لكم ولأمكم حياة كـــريمة . لكننى لم أستطع أن أجعلها رغدة . فاليد قصـــيرة ، وأنـــتم تعـــرفون الأحوال لذلك أرجو أن تعـــتمدوا علـــى أنفســـكم . ويبذل كل منكم أقصى ما يستطيع حتى يطيل رقبتنا أمام الناس

تأثر الأولاد كثيراً من تلك الكلمة ، وخرجوا من الحجــرة ، وهــم مصــممون علــى العمل وبذل الجهد والاعــتماد علــى النفس . عندما ظهرت النتائج كانوا كلهــم فى المقدمة . ملأت الأم البيت بالزغاريد ، وراح الأب يمسح دموعه من الفرحة !

لحظة اتخاذ القرار

جلـــس فى مكتبة الفخم يتأمل الأثاث وتوزيع الأضواء، ويســـتعرض شـــريط حياته الذى يمتلئ بسنوات اليأس ، وأيام الانكســـار دخـــل مدير المكتب . وفى يده ملف ضخم ، أخرج مـــنه ورقـــة ترشـــيحات رؤســـاء مجـــالس إدارة الشـــركات التابعة له:

– هذا الموضوع مستعجل ياباشا . .

– حسناً دعه هنا ، واتركنى ربع ساعة .

كـــان علـــيه أن يختار من بين ثمانية عشر اسماً ستة أشـــخاص لســـت شـــركات . هناك أربعة عليهم توصية، أشّر علـــيهم بسرعة . أما الخامس فتوقف عنده قليلاً ، ثم قبله لعدم أهميـــته . بقى السادس ، ينافسه اثنان يصغرانه سناً ، ويقلان عـــنه فى الخبرة . لكنه كان أحد الذين عارضوه أثناء الأزمة ، وصـــرحوا بذلك فى الجرائد فكر أن يختار التالى له مباشرة ، لكـــنه عـــاد فقـــال لنفسه : ولماذا لا آخذ الثالث نكاية فيه ؟ ! ضـــغط علـــى الجـــرس . دخـــل مديـــر المكتب . سلمه ورقة الاختـــيارات النهائـــية تمهيدا لإصدار القرار ، ثم راح ينظر فى أثاث مكتبه الفخم ، ويتأمل توزيع الأضواء !

أمام التلفزيون

جلس أمام التلفزيون ليشاهد برنامجه المفضل . استمرت الإعلانات لأكثر من عشر دقائق . حول على قناة أخرى فوجدها تبث برنامجاً طبياً عن عسر الهضم الذى يعانى منه . حاول أن يصغى باهتمام للطبيب الذى ظهر أنه خبير فى الموضوع ، لكن المذيعة كانت تقاطعه باستمرار ، إلى حد أن الرجل اضطر أن يقول لها : لو سمحت، أود فقط أن أكمل هذه النقطة . . لكن الطبيب مع الأسف لم يتحدث إلا عن أعراض المرض ، وكلها صحيحة لأنه يحس بها ، ويتألم منها . كان يتمنى أن يسمع منه علاجاً أو حتى مجرد نصيحة ، لكن المذيعة أسرعت بسؤال الطبيب عن الأغنية التى يفضلها ، وعلى الفور بدأت الأغنية . . عاد يضغط على (الريموت) لمشاهدة برنامجه المفضل . كان قد مضى منه الكثير . وفجأة رن جرس التليفون ، وأخبره أحد الأصدقاء بضرورة فتح قناة أخرى على وجه

الســـرعة حـــول إلـــيها . وجد فيها رئيس المؤسسة يجلـــس فـــى حـــوار مفتوح على الهواء ، والمشاهدين يطـــرحون علـــيه الأســـئلة فكـــر أن يفعل مثلهم لكى يكتســـب رضـــاه ، لكنه أحجم خوفا من اتهام زملائه له بالـــنفاق استـــمرت الأســـئلة تتوالى والرجل يجيب أحـــياناً لا يقول الحقيقة لكنه يبدو واثقاً من نفسه شـــعر بالزهو لأن اسم مؤسسته يتردد فى التلفزيون ســـأل المحاور رئيسه عن الأغنية التى يفضلها جاءت الأغنية . راح يتابعها حتى النهاية . .

رحلة قطار

لـــم يكـــن يـــتوقع على الإطلاق أن تشمل رحلة واحـــدة بالقطـــار كـــل تلك الأحداث التى مرت به . فى مدخـــل المحطـــة حاول أحد اللصوص أن يسرق حافظة نقـــوده . وحين جلس فى البوفيه غالطه الجرسون فى الحساب وعندما توجه إلى مقعده ، مع رقم تذكرته ، وجد شخصاً قد احتله ، ورفض رفضاً قاطعاً أن يتركه ، حـــتى تدخل الركاب ، وأجلسه أحدهم فى مكانه . جاءت فتاة على درجة عالية من الجمال وجلست إلى جواره . فـــى الـــبداية كـــان متحفظاً ، ثم ما لبث أن تبادل معها بعـــض العبارات فوجدها متفتحة جداً. راحت تحدثه عن أســـرتها ، ووجهـــتها ، وسبب سفرها الحالى . الأبوان منفصلان . وهى تعيش مع والدها فى القاهرة ، وتذهب مرة كل شهر لزيارة أمها فى الإسكندرية . الأم تزوجت مـــن رجل ثرى ، يلح عليها فى الإقامة عندهما ، لكنها تفضـــل والدها لأنه مريض . زاد إعجابه بشخصيتها . تجرأ فسألها :

- هل أنت مرتبطة ؟

- مخطوبـــة مرتيـــن. وفى كل منهما كنت أنا الضحية الأول كان مدمناً ، والثانى ظهر أنه متزوج .

لا يدرى كيف صدقها . قبل أن يتوقف القطار ، طلـــب منها رقم التليفون أعطته رقمين لكنه لم يعثر عليها أبداً فى أىَ منهما ! !

استدعاء

نهـض من نومه بعد العصر منزعجاً على دقات عنـيفة علـى الباب . فتح فوجد ضابطاً بملابس مدنية وخلفـه بعـض الجنود . طلبوا منه أن يرتدى ملابسه بسرعة و يصحبهم إلى حيث هو مطلوب . حاول طوال الطـريق أن يعـرف السـبب فلم يرد على أسئلته أحد. الـتزم الصمت ، وراح يفتش فى ذاكرته عن أى حادثة شارك فيها أو حتى شاهدها . . طوال حياته وهو يسمع ويقـرأ عن المصائب لكنه لم يشارك أبداً فى أى منها . إنه حتى لا يحب الخوض فى أحاديث السياسة ، وعندما كـان فى الجامعة ، التزم جيداً بنصائح والده بضرورة البعد عن المظاهرات ، التى قد تؤثر على مستقبله عند التعييـن، والآن حين يشكو زملاؤه فى العمل من ضعف المرتـبات ، وارتفاع الأسعار يبدى لهم الموافقة ، لكنه لا يـتفوه بكلمـة واحدة فى الموضوع. المجال الوحيد الذى يسمح لنفسه بحرية النقد فيه هـو المسلسـلات

التليفزيونـــية ! توقفت سيارة الشرطة أمام مبنى شديد الحراسة، وبعد أن صعد العديد من السلالم ، جلس أمام ضابط فى غاية الأدب راح يتحدث معه فى أمور عادية، وأخيراً قدم له صورة وقال له:

– هل تعرف هذا الشخص؟

أكـــد أنه لا يعرفه ولم يره قط فى حياته. شكره الضابط على حسن التعاون ، واعتذر له عن الإزعاج ، ثـــم أمر أحد الجنود بتوصيله إلى باب المبنى . لم يشأ أن يعــود بالتاكسى ، وفضل أن يتمشى فى طرقات الليل الســـاكنة تماماً ، لكى يجد لنفسه إجابة مقنعة عن سبب استدعائه : هل كان حقاً لمجرد هذا السؤال؟ !

بعض الماكياج

تـــرددت أكـــثر من مرة على الإدارة لكى تنهى سلســـلة الإجـــراءات الطويلـــة لصرف معاش زوجها . كانت فى فترة الحداد، مازالت ترتدى السواد، ولا تضع علـــى وجهها أية مساحيق . زادت معاناتها إلى حد أنها فكرت فى تقديم رشوة لتمضية الأمور ! قالت لها إحدى صديقاتها :

– إياك أن تفعلى!

لكنها عادت فسألتها :

– كيف تذهبين إلى هناك ؟

أجابتها:

– عادى . أرتدى فستانى الأسود ، وأتعمد أن أكون فى حالة مزرية حتى ينظروا لحالتى بعين العطف !

قالت صديقتها :

– فلنجرب الأسلوب الآخر .

سألتها :

– ما هو ؟

– عندما تنوين الذهاب ، أخبرينى فقط لأذهب معك . .

بعـد عـدة أيـام ، كانت الصديقتان على باب الإدارة . فغـر الموظفون أفواههم . تبادلوا النظرات ، وسرت بينهم بعض ألفاظ الدهشة والإعجاب . اقتادهما الساعى مباشرة إلى مكتب المدير . ثم خرج فعاد بكوبين مـن العصـير . رن الجرس . خرجت الأوراق ودخلت. انتهـت المسالة تماماً. كانت صاحبة المعاش فى ذهول تام ، وعندما سألت صديقتها :

– كيف حدث هذا ؟ !

– أبداً ، بفضل بعض المكياج !

انسحاب فنانة

بدأت منذ الخطوة الأولى لصعودها سلم الشهرة تفكـر فـى لحظـة النزول منه . كان جميع أصدقائها وصـديقاتها يقولـون لها إنها مجرد وساوس ، ولأنك حساسـة فأنـت تضـخمين المسـائل . لا تفكـرى فى المسـتقبل ، وعيشـى اللحظـة الحاضرة . لكنها ظلت مـتوترة ، ولم تسعد بأى نجاح تحققه ، وكلما شاهدت الجمهـور يصفق ، قفز إلى ذهنها أنها تسير فى طريق طويل ، ومزدحم بكائنات غريبة لا يعرفها منهم أحد !

بعـيداً عن الوسط ، قررت أن تذهب إلى طبيب نفسـى كبـير ، وما لبثت أن أقنعته بأن تكون الجلسات فـى شـقتها . كانـت تستلقى على الكنبة وتظل تحكى وتحكـى حـتى أفرغـت كل ما فى ذاكرتها . كتب لها الطبيـب عدة حبوب مهدئة ، ومنومة ، ونصحها بتغيير الجو ، والرحلة إلى الخارج من وقت لآخر . اعتـذرت

عـــن معظـــم الأعمال التى عرضت عليها بسبب علاجها الـــذى أخفـــته عـــن الجمـــيع . أصبحت مقلّة جداً فى أعمالهـــا، وكانـــت تتابع فنانات أصغر سناً وأقل موهبة يصـــعدن وينتشـــرن وهـــى فى عزلتها هادئة . بمرور الوقـــت ، أهملهـــا المخـــرجون تماماً ، ولم يعد يذكرها سوى عدد قليل من قدامى المعجبين !

الأخت الحاسدة

لم تبدأ غيرة الأخت الكبرى إلا عندما تقدم لخطبة الصغرى شاب أكثر مالاً ومركزاً ووسامة . راحت تؤكد لها عدم مصداقيته حتى تم الزواج. وكانت كلما تحدثت إليها عن أمر تافه فى حياتها الزوجية حولته إلى كارثة . وبمرور الوقت ، تحولت الغيرة إلى حسد أسود ، أحال حياتها جحيماً . قال لها زوجها :

– لماذا أصبحت حزينة هكذا ؟

أجابته دون تفكير :

– ألا ترى ما لديها ؟ !

– كل إنسان ونصيبه.

– لكنها الصغرى ، وليست أجمل منى .

سكت الزوج مرغماً . وتوالت الأمراض ، وتعددت العمليات الجراحية ، والأخت الصغرى تقدم الكثير من المساعدة والدعم . .

ذات لـــيلة قـــرب الفجر ، اقتربت الصغرى من السـريــر تتحســـس حـــرارتها فـــإذا بها تمسك بيدها ، وتضغط عليها بأقصى قوتها قائلة :

- سامحينى على كل ما فعلته بك .

سحبت يدها مؤكدة :

- إنك لم تفعلى شيئاً على الإطلاق .

- أرجوك سامحينى حتى أموت وأنا مرتاحة .

- لا تقولى شيئاً من ذلك .

- أنت لا تعرفين شيئاً .

- بل أعرف أنك أعز أخت لى فى الدنيا !

سنوات الحكومة

فــى الســنة الأخــيرة من عمله فى الحكومة ، أصــبح سريع الغضب، كثير النرفزة ، ينفر من الناس ، ولا يــتحمل أى دعابة . وصار يصحو مبكراً ، فيجلس فــى البلكونة ليستنشق نسمة الصباح الباردة ، ويشاهد أولى حركات الشارع .

قــبل السادسة ، يصل تحت المنزل وبالقرب من الناصــية بــائع فطــير فى سيارة نصف نقل صغيرة ، ومحملــة بالصــوانى . ينزل فيفرد جوانبها حتى تصبح مطعمــاً ، ثــم يضــع عليها صوانى الفطير ، تتوسطها صــاجة التسخين ، تحتها موقد بوتاجاز . يتجمع بعض الزبائــن لكــنه لا يــبدأ البيع لهم إلا بعد استكمال باقى الطقــوس : يخــرج رزمة أوراق متوسطة وصغيرة . المتوسطة لفطيرة الجنيه . والصغيرة لفطيرة الخمسين قرشــاً. ثــم يشــعل البوتاجاز ، ويرش الصاجة ببعض قطرات من الزيت ، ويضع فوقها كمية من الفطير .

عـــندما ينتهى يبدأ فى تقبل الطلبات ، دون أن يـــنظر لأصحابها . يتناول فقط النقود، ويلف لكل زبون فطـــيرته مصـــحوبة بكـــيس صغير من السكر. البعض يأخذها ويجرى ليلحق بالأوتوبيس الذى يقله إلى عمله، والبعض الآخر يلتهم الفطيرة وهو واقف بجوار العربة.

كم يكسب هذا الرجل فى اليوم الواحد ؟ راح يعد الصـــاجات فوجدهـــا سبعاً ، على كل منها حوالى مائة فطـــيرة . فـــى الثامنة والنصف تكون كل الصاجات قد فرغـــت ، ويـــتحول المطعم الصغير إلى عربة ، يقودها الـــرجل ويمضـــى . . مـــا أجمل هذا العمل ! وما أكثر ربحـــه! كمـــا أنه محترم . ولا يستغرق سوى ساعتين ونصـــف. وراح يتساءل: هل ضاعت سنوات عمره فى الحكومة هباء ؟ !

رد مجاملة

نشـأ الاثـنان فى حى واحد . واستمرت صداقتهما رغـم تفـرق الطـرق بهمـا فـى الحياة . الأول أصبح من مشـاهير كـرة القدم ، ثم عندما اعتزل أصبح مدرباً لفريق كبـير . أمـا الثانى فعمل فى مجال البنوك حتى أصبح مديراً لبـنك كبـير . كانا يتبادلان الزيارة ، وبمرور الوقت تحولت إلـى مجاملـة فـى المناسبات . وكانت أكبر مجاملة قدمها مديـر البـنك لصـديقه المـدرب ذلك القرض الذى أتاح له امـتلاك فـيلا رائعة فى إحدى المدن الجديدة. ثم جاء الدور علـى المـدرب ، فقـد الـتحق ابـن الأول بفريق للكرة فى الـنادى، ولم يكن موهوباً تماماً لكى يلعب فى الفريق الأول، لكـنه ضـمّه إليه ، وحانت المباراة الحاسمة فأشركه فيها. نـزل الولـد إلـى الملعـب ، فأضاع على زملائه الكثير من الفـرص حـتى انهزم الفريق . أجمع الجمهور على أنه لولا هـذا اللاعـب لأمكـن الفوز ، أو حتى التعادل . . وتساءل الكثـيرون عـن سـبب إبقائه طوال المباراة ، لكن أحداً لم يعرف أبداً أن ذلك لم يكن مجاملة . . بل رد مجاملة .

دخان الرسائل

بعـد أن فـاض به الجوى والألم ، وتعذر على لسـانه أن يصـارحها ، قـرر أن يكتـب لهـا قائلاً : "حبيبـتى.. . " ثم شطبها وكتب " عزيزتى . . . فضلت أن أبعـث إلـيك بهـذه الرسالة لكى أعبر لك فيها عن مشاعرى التى حاولت كثيراً إخفاءها، لكننى لم أستطع " ثـم توقـف متسائلاً : كيف يمكن أن يكون رد فعلها ؟ وأجـاب : إنـه لـن يخـرج عن أمرين : إما أن تسعد وتسـتجيب وتدخـل معى فى جنة الأحلام التى صنعتها لهـا، وإمـا أن تغضب غضباً شديداً فتقطع تلك العلاقة الجميلة التى تظللها الصداقة بيننا. ترك ما كتبه ، وراح يكتـب فـى ورقة أخرى " عزيزتى . . . لست أدرى ما الـذى يدفعـنى للكـتابة إلـيك على الرغم من لقاءاتنا اليومية ، وكذلك على الرغم من اتصالاتنا التليفونية فى أى وقـت . . أرجـو أن تعذريـنى لأننى أريد الإفصاح بالكـتابة عما أحس به دون حرج المواجهة . . " وهنا تساءل : ألن يكون ذلك نوعاً من الخضوع الذليل أمامها

وهـــى التى تحكى له كثيراً وبسخرية عن الرجال الذين يصـــارحونها بإعجـــابهم ؟ ! راح يعبث بالقلم ، ويرسم علـــى الورقـــة دوائـــر ومثلثات ، ووجد نفسه يكتب : "ملعون الحب ! إنه لا يكتفى فقط بتمزيقنا، ولكنه أيضاً يضـــع جبهتـــنا فى الأرض " ثم أمسك بالورقتين وراح يقطعهمـــا قطعاً صغيرة ، وكلما وجد كلمة كاملة قطعها مـــن الوسط خوفاً من أن تراها زوجته . وأخيراً قرر أن يشـــعل فـــيها النار ، ثم يلقيها فى دورة المياه . عندما تصـــاعد الدخـــان جـــاء صـــوت الـــزوجة من الحجرة المجاورة :

– ما هذه الرائحة ؟

اضطرب قليلاً ثم قال بصوت عالٍ:

– إنها بعض أوراق المكتب أريد التخلص منها .

ردت الزوجة محذرة :

– طيب حاسب على زجاجة الفنيك اللى عندك من النار!

محاولة

لـــم تعد أمامه سوى فرصة واحدة : إما أن ينجح فيها أو يفشل إلى الأبد . لذلك فقد حشد هذه المرة كل قواه ، واستعان بكل معارفه حتى أنه لم يـــتردد فى أن يلجأ أحياناً لبعض الخصوم ، إن لم يكن للمساعدة ، فعلى الأقل لكى يكفوا أذاهم عنه . كـــان يقوم فى الليل ليجلس فى سريره مستعرضاً أدق التفاصيل ، ومحاولاً وضع إجابة لكل سؤال . بـــل إنه كان ينهض فى أحيان أخرى ليجلس على المكتب ، ويعيد قراءة أوراق الملف للمرة الألف . . وأخيراً قال لنفسه : لقد فعلت كل مافى وسعى . ولم أترك أى ثغرة فى الموضوع ، ولم يبق علىّ الآن سوى أن أجلس بهدوء وأراقب سير الأمور..

كـــان كمـــن يراهـــن على حصان جيد فى سباق. لكنه لم يكن متأكداً من ضربة الحظ، أو حالة

الطقـــس . وفى النهاية جاءت النتيجة وسطاً بين الفشـــل والـــنجاح . لم يحدث تماماً ما يريد ، لكنه أيضاً لم يخسر كل شئ . هنأه الكثيرون على صدق المحاولة. ونظر إليه بعض الحاقدين على أنه خرج منتصراً . لكنه عندما عاد إلى منزله ، تمدد بكامل ملابسه على السرير ، ولأول مرة منذ عدة شهور ، راح فى نوم عميق بدون أحلام !

الوظيفة الأفضل

حمـــى وطيس المعارك فى المؤسسة حتى أصبحت مهددة بالانهيار ، وانتشرت أخبار الخلافات بين الموظفين فى كل الجرائد ، ولم يعد يطيق من يســـأله فى المقهى عما يحدث ، وما هو موقفه ، وأيـــن الحقـــيقة ؟ كره المقهى ، وراح يتردد على مســـجد بعيد عن الحى ، ليقضى فيه بهدوء الفترة من العصر إلى العشاء . . هناك انغمس فى الصلاة، ووجـــد فـــى صلاة الجماعة راحة لا حد لها . كان الإمام حسن الصوت فراح يذوب فى تلاوته ، وتمنى أن يجلـــس إليه . لم يمر وقت طويل حتى توطدت بيـــنهما الصحبة ، وصار من أتباعه . كان الرجل يفســـر القـــرآن بعد المغرب ، ويجيب على أسئلة المصـــلين بعد العشاء . . اشترى العديد من الكتب الدينـــية الـــتى أوصـــاه بها ، وأصبح يحملها معه فى العمل ، ويقرأ فيها كلما هدأت الواجبات . لم يعد

يســـمع ضجيج المعارك فى المؤسسة ، وانقطعت عنه أخبار المتنافسين . صار حريصاً على مواعيد المسجد أكثر من حرصه على موعد العمل . كان إذا غـــاب الإمام قام هو مكانه ، وراح الناس يسألونه فيجيـــب . قـــيل له: كيف تفتى وأنت بدون لحية ؟ فأطلقها . ساعده الإمام فى الحصول على تصريح بالخطابة فى مسجد مجاور . أقبل الناس عليه وزاد أتـــباعه . ذات صـــباح، قـــرأ فى الجريدة عن حل المؤسسة التى يعمل بها ، صاحت زوجته باكية. أما هو فتمتم قائلاً :

– الحمد لله الذى أبدلنا خيراً منها .

شاى بالنعناع

عـــادوا مـــن تشـــييع الجـــنازة . كانوا أربعة . قال أحدهم :

– أنا جوعان . ورد الآخر :

– أعرف مطعماً جيداً فى هذا الحى .

جلســوا متقابليــن . سجل الجرسون طلباتهم ، وما لبثـت المـائدة أن امـتلأت بالمـياه المعدنية ، والسلَطات ، وأخيراً جاء الكباب والكفتة .

قال أحدهم :

– ليته كان معنا الآن ! فقد كان أكثرنا ضحكاً .

وقال الثانى :

– لكـنه فـى الفـترة الأخـيرة فقـد الكثير من حاسته على الفكاهة . وأسرع الثالث قائلاً :

– المشكلة أنه عرف متى سيموت ؟

وتساءل الرابع :

– كيف يشعر الإنسان عندما يعرف موعد وفاته ؟

أجابه الأول :

– تسـود الدنـيا فـى عينيه ، ويفقد الإحساس بطعم الحياة، ولا يطيق أن يفعل أى شئ ، أو يكلم أحداً !

رد عليه الثانى :

– وهل جربت أنت ذلك؟

– كـلا ، لكننى قرأت عن الموضوع ، كما أننى شاهدت أحد الأفلام !

وقال الثالث :

– عموماً الدنيا لا تستأهل كل هذا العناء الذى نحن فيه.

وعلق الرابع :

– لكـنك إذا خـيرّت بيـنها وبيـن المـوت لن تتنازل عنها بسهولة ، بل تجد نفسك متمسكاً بها لأقصى درجة ..

وكانـت الأطـباق قد فرغت تماماً من الطعام ، ولم يبق سوى بعض البقايا ، فنادوا على الجرسون :

– ارفع يا بنى هذه الأشياء ، وأحضر لنا شاياً بالنعناع !

بدون تكييف

جـــاءت إليه من إدارة أخرى فى موضوع عام ، وعـــندما وجدهـــا سيدة كبيرة فى السن أجلسها وسألها عـــن حالهـــا وحال مكتبها فاندفعت فى البكاء . قدم لها عـــدة مـــناديل ورقية لتمسح دموعها وطلب لها عصير ليمون . تناولت القليل منه فهدأت . سألها عن السبب : قالت بصوت متقطع :

– أنـــا رئيسة مكتب ، أعمل فى المكان منذ ثلاثين سنة، ولدى أكثر من سبعة موظفين . وعندما يأتى الصيف يصبح المكتب جحيماً من الحر لا يطاق ، وليس لدينا تكيـــيف . تصـــور أننى أترك الموظفين واحداً وراء الآخـــر لكـــى يذهـــب ثلث ساعة أو نصفها إلى أحد المكاتـــب المكـــيفة حولـــنا ليرتاح فيها قليلاً . . ومع ذلـــك، فـــالموظفون عـــندى يتهمونـــنى بأننى أحابى بعضـــهم، فأتـــركه خمـــس دقـــائق زيادة عن الوقت المحدد. .

سألها :

– ولماذا لم تطلبى تكييفاً لمكتبك ؟

– يا ما طلبت، وكلما جاء مدير جديد وعدنى ، ولم ينفذ وعده .

– لكن العمل الذى تقومون به مهم جداً للإدارة كلها .

وجـد نفسـه مدفوعاً لتبنى الموضوع . ذهب لمقابلـة المديـر العـام ليطلب منه تكييفاً لهذا القسم المحـروم ، لاحـظ لأول مـرة أن فى مكتبه وحده . . أربعة مكيفات !

اشتراك الرحلة

وعـد ابنه إذا ذاكر واجتهد ونجح بتقدير متقدم أن يخـرجه مع زملائه فى رحلة الكلية . حقق الولد كل مـا يتعلق به ، ولم يبق على الأب سوى أن يدبر قيمة اشـتراك الرحلة ومصاريف الولد فيها . كان سعيداً جداً بالإنجـاز الـذى حققه ، وراح يدعو له بمستقبل أكثر إشـراقاً ، ويحلـم بأنه سيكون من أكبر المهندسين فى البلد . دبر المبلغ المطلوب من مصادر عديدة : مكافآت وحوافـز وتوفـير أجـرة التاكسى ، وتقليل السجائر ، وتجنـب الجلوس على المقهى. راح يستعجل الساعات لـيعود إلـى المنزل ويعطى ابنه المبلغ أمام أمه ، التى كانـت تـتابع خطوات توفيره برضا مشوب بالإعجاب . قـبل موعـد الانصـراف بنصـف ساعة مر عليهم فى المكتـب أحـد كـبار الموظفين بالمصلحة ، وبصحبته سكرتير المدير .

– ماذا حدث؟

– ابـــن المدير نجح ، ونريد أن نقدم لسيادته هدية تليق بمقامه . وقد فكرنا في الورود ، والشيكولاته ، وطبق الفضة، لكن الرأى استقر أخيراً على كمبيوتر ، يلعب عليه الولد ، وكما تلاحظون الفكرة مبتكرة! وافق كل الزملاء فى المكتب .

لكنه سأل :

– كم المساهمة ؟

– أقلهـــا (200) جنيه ولا حد لأقصاها . وكله سيسجل فى الكشف .

نظـــر فـــى الأســـماء فوجـــد التنافس شديداً ، والمـــبالغ عالـــية . أخرج الــ (300) جنيه المخصصة للـــرحلة مـــن حافظته ، وسلمها للسكرتير الذى أسرع بتسجيل اسمه فى الكشف !

نهر الحياة

لم يدرك مأساة خَلَف البنات إلا بعد أن تخرجت بناته الثلاث : اثنتان من الجامعة ، وواحدة من الدبلوم. كـــان كـــل همه طوال حياته أن تحصل كل واحدة منهن على شهادة . . سلاح فى يدها ضد الزمن ! لكن ها هو الزمن يتحداه ، وتصبح الفتيات الثلاث معرضات لرياحه وعواصـــفه . . البنـــت الكبرى خطبت مرتين وفسخت خطبـــتها . والوسطى يدور حولها كثير من الشبان دون أن يـــتقدم واحد منهم . أما الصغرى فقد عرض عليها صاحب العمل الزواج فوق زوجته ، والمصيبة أن البنت موافقة على ذلك !

كـــان متشدداً جداً فى شروط مَنْ يتقدم للزواج من بناته ، لكن زوجته راحت تلح عليه قائلة :

– إن الدنيا تغيرت ، وعليه أن يقبل بأدنى الشروط .

أصبحت أخبار حوادث الاغتصاب ترجّه بعنف ، ويتخيل أحياناً أنها من الممكن أن تقع لإحدى بناتـــه .

فـيكاد يفقـد عقلـه . ظهرت عليه علامات الشيخوخة فأصـبح يفضـل الوحدة ، ويطيل الصمت . قال له أحد قدامى أصدقائه :

– أخـرج الموضـوع مـن دمـاغك . المسـألة قسمة ونصيب.

لـم يوافق تماماً على كلامه ، ومن العجيب أن كـل واحدة من البنات عندما جاءت له بعريس متوسط الحـال ، وجـد نفسـه بدون اختيار مضطراً للقبول . تزوجـت البـنات الثلاث ، وتوالت مواليد الأحفاد حتى صـاروا عشرة . . راح يوزع عليهم النقود الجديدة فى العيد . بعد انصرافهم ، قالت له زوجته :

– ألست سعيداً بهم ؟

أجابها :

– صحيح ، إن الإنسان ليس سوى قطرة واحدة فى نهر الحياة !

عشق اضطرارى

ذهـــب إلـــى العمـــل فـــى إحدى دول الخليج . المنصـــب محترم . والأجر يفوق عشرة أضعاف ما كان يتقاضاه فى بلده . اعتبرها فرصة العمر ، وصمم على ألا تضـــيع . بـــذل أقصى ما يستطيع فى عمله . وكان يســـمع أخبار الكسالى والمتلاعبين تنتهى عقود عملهم قبل موعدها . ازداد حرصاً على عدم الوقوع فى الخطأ. وكان لا يغادر المكان إلا متأخراً. لوحظت جديته ، وبدأ يسمع الثناء عليه قليلاً قليلاً ثم أخذ يزداد ويستقر .

بعد أربع سنوات متواصلة من العمل أحس فجأة بجفـــاف عـــاطفى كاد يقضى عليه . انسدت نفسه عن العمـــل ، وأصـــبح يلجأ إلى الأجازات المرضية لينفرد بنفســـه . نصـــحه بعض أصدقائه بشراء فيديو ليقضى أمامه وقت فراغه الطويل . كان يشاهد أربعة أو خمسة أفلام فى الليلة الواحدة . أثار دهشة الهندى الذى يعمل فى محل تأجير الأفلام من كثرة ما استأجره . .

تحول إلى محل كاست . شاهد العديد من وجوه المطــربات علـــى أغلفة الشرائط . تخير واحدة أعجبته عيناها الواسعتان . فى البداية لم يفهم لهجتها ، ثم راح يــتعود علــيها ، وأصبحت هى مطربته المفضلة . ملأ صندوق سيارته بأغانيها . أصبح يفكر فيها ويبحث عن أخبارها فى الجرائد ، ويترقب ظهورها فى التلفزيون . عـــادت حــياته لتوازنها الأول . وأمضى عامين آخرين قبل أن يعود إلى موطنه !

حب الشيخوخة

استدعى أعز أصدقائه ليبحث معه سر تعلقها به علـــى هـــذا النحو، الذى أصبح يحيره بالفعل . ما الذى يجعلها وهى فى نصف عمره تقريباً تندفع بكل عواطفها إلـــيه ، ولا يكاد يمر يوم حتى تراه ، أو تتصل به . أكد لصـــديقه أنها على استعداد كامل لأن تفعل أى شئ من أجلـــه ، وأنـــه أصـــبح محور حياتها . أصغى الصديق العاقل وقال :

– لعلها عقدة الكترا .

– وما هى ؟

– إنها التى تفسر تعلق الفتاة بالرجل الذي يشبه أباها .

– لكننى لا أشبهه . لقد أطلعتنى على صورته .

– إذن لعله حرمانها القديم من حنان الأب .

لكـــنه راح يؤكـــد له أن المسألة تجاوزت إطار العواطف إلى جنون الجسد . هنا قال الصديق بغضب :

– لابد أن توقف هذه المهزلة .

أجاب بانكسار :

– لا أكذبك أننى أيضاً راغبٌ فيها .

– هل جننت ؟

– أبــداً ، لكــن هــل تصدقنى إذا صارحتك بأنها تشبع كبريائى ، وتعيدنى أكثر شباباً وحيوية .

ارتفع صوت الصديق :

– وأسرتك ! زوجتك وأولادك ؟

– لَـم يعــد أحــد منهم يهتم بأحد . أصبحنا نعيش مثل الجزر المنعزلة ، لذلك فإننى معها أجد نصفى الآخر.. إنها بالفعل حب حقيقى . أرجوك ، حاول أن تفهمنى.

لــم يتراجع الصديق أبداً عن موقفه ، وقبل أن ينهض نظر طويلاً إلى لون شعره الأبيض ، وقال :

– ألا تدرك أننا قد تجاوزنا الستين ؟

لم يرد . أضاف الصديق :

– وأنت تكبرنى بعامين !

الفرصة الضائعة

أعجـب بهـا مـن الـنظرة الأولى ، وظل الإعجـاب يتزايد كلما تعرف عليها. كانت كالماسة التى تشع من كل الوجوه . ولا يكاد يوجد فيها أى عيب . جالت بذهنه فكرة الارتباط بها ، لكنه تراجع لشدة جمالها ، وعلو منصبها ، ومكانتها المتميزة فـى المجتمع . كان فى بداية طريقه يتلمس معالم النجاح ، ولم تكن صورة المستقبل واضحة تماماً . لكنها كانت تشجعه ، وتقول له أحياناً : سيكون لك مستقبل باهر .

كان يعتبر ذلك مجرد مجاملة، تنطوى على نصيحة من الأعلى للأدنى . لذلك كانت كرامته ترفع صوتها محذرة من أن يخفض الرأس أمامها. وهكذا اختلطت مشاعره العميقة نحوها بمزيج من الحذر ، والتحدى ، والاعتزاز بالنفس.

ذات يوم طلبت لقاءه ، أسرع إليها فوجدها متألقة كالعادة . أكدت له أنه من أفضل أصدقائهـــا الذيـــن تـــرتاح إليهم ، وتحترم رأيهم . توقع منها اعترافاً قد يغير مجرى حياته . لكنها راحت تحدثه عـــن (فلان) ، الذى تقدم إليها ، وهى لا تمانع ، لكنها تريد مَنْ يزيد قلبها اطمئناناً . تغلبت الصداقة على الحب ، فراح يمتدح الرجل ، ويعدد مزاياه . شكرته على سديد رأيه ، وأوصلته إلى الباب. فى الشارع ، وجد أنه لو كان قد تقدم إليها لقبلت به . لكنه بغبائه أضاع الفرصة.

الضّجَر

لـــم يتـــبق من جيله سوى اثنين . أحدهما ملازم للفراش ، والثانى ما زال متماسكاً ، يسافر كـــل عـــام لـــيزور أبـــناءه فى الولايات المتحدة الأمريكية. لذلك عندما يشعر بالوحدة ، لا يجد أمامه حاضراً سوى صديقه المريض ، الذى يفرح كثيراً بـــزيارته ، لكـــنه ما يلبث أن يغيب عن الوعى ، ويروح فى إغفاءة طويلة . كان فى البداية يتوقف عـــن الكـــلام ،.وينصرف بهدوء ، لكنه فى الفترة الأخيرة لم يعد يفعل ذلك ، فهو يظل يتكلم إليه وهو نائم ، أو غائب عن الوعى . ماذا يهم ؟ المهم أنه يفرغ لديه شحنته الانفعالية ، الناقمة على الزمن ، والناس .

–تصـــور أن ســـائق التاكسى كاد يضربنى عندما أعطيته جنيهاً ونصف . أنت تعلم أن المشوار لا يساوى أكثر من خمسين قرشاً. لكن سائقى هـــذه

الأيام أصبحوا ملاعين . وبالأمس لم أستطع النوم مـــن لدغـــات الناموس . إنهم فى الحى لم يعودوا يرشـــون الشوارع كما كانوا يفعلون على أيامنا ! ومـــنذ أسبوع أقاموا لحفيدة أختى فرحاً فى فندق كبـــير ، لـــم أستطع أن أجلس فيه أكثر من نصف ســـاعة ، وكـــدت أفقـــد سمعى من ارتفاع صوت الموسيقى !

وعندما يصحو صديقه المريض من غفوته يسأله عن صديقهما الثالث ؟ فيجيب بانفعال :

– وهذا أيضاً ، لا أدرى ماذا يعجبه فى أمريكا ؟ كل سنة يقضى فيها ثلاثة شهور . أقسم لك أن أبناءه لا يرتاحون لرؤيته ، لكنه يفرض نفسه عليهم ، تماماً كما يفعل معنا !

الأوراق القديمة

صــحا من نومه ، وهو يقول لنفسه : هذا يــوم أجــازة كامل ، سوف أستغل كل ساعاته فى النوم والراحة . وبتثاقل شديد راح يعد فطوره ، ثم يعدل الكرسى الهزاز فى الشرفة ويستلقى فوقه ، مــتجولاً فــى الجريدة وهو يأكل ، وبجواره كوب الشــاى بالحليب . وفجأة رأى ما كان ينتظره منذ عام كامل : إعلان فى الصفحة الأخيرة عن الجائزة، وقيمــتها ، وشروط التقدم لها ، والموعد المحدد لانــتهائه . راح يــتأمل عنوان الجائزة وهو سعيد للغاية ومتفائل. كان متأكداً من أنه الشخص الوحيد المؤهــل للفــوز بهــا . ومن غيره أحق ، والكل يعــرفون تاريخــه ، وقيمة أعماله ؟ عاد يتفحص شــروط الــتقديم فوجدهــا تتطلب إحضار أوراق وشهادات موثقة ، بعضها لديه ، والبعض الآخر من

جهات مختلفة . لا يهم . لكن عليه أن يبدأ أولاً بما لديـــه. قـــام إلـــى مكتبته ، وراح يتصفح الملفات القديمة . استوقفته الكثير من الأوراق – الذكريات التى ترجع إلى ثلاثين أو أربعين سنة . أخذ يقرأها مســـتعيداً تلـــك اللحظات النادرة فى حياته. كانت الأوراق كثيرة جداً . حملها إلى الشرفة، وراح يعيد قراءتها بكل اهتمام . الورق اصفر لونه ، وتمزقت أطـــرافه ، لكنه مازال شاهداً على كل ما حدث من هـــزيمة ونصـــر ، نجاح وفشل ، حب وانكسار ، تـــنافس وانســـحاب . . كانـــت الساعة تقترب من السادسة، والشمس فى طريقها للمغيب ، وبدأ يشعر فى ظهره بألم روماتيزمى كان قد توقف منذ فترة .. وكـــاد يلعـــن الإعلان الذى جعله يضيع اليوم فى أوراقه القديمة !

مراقبة

كان له عم شديد المرح ، وفى جعبته الكثير من الحكايات . حدثه ذات يوم عن المرأة التى كانت تخون زوجها ، مستخدمة حبل الغسيل لتعلق عليه منديلاً يثبت لعاشقها أن زوجها غير موجود فى المنزل . فإذا حضر أسرعت بنزعه من الحبل . سأله :

-وهل استمرت حيلتها ؟

-كلا ، فقد افتضح أمرها حين وصل زوجها من سفر بعيد على غير توقع ، وفتح الشقة فوجدها متلبسة !

مرت سنوات طويلة ، وفى الشقة المقابلة من الشارع ، وأثناء متابعته للجارة الحسناء ، راح يلاحظ مشهداً شديد الغرابة: تخرج الجارة تارة فتعلق بنطلون زوجها ، وتخرج تارة أخرى لتعلق

الإيشـــارب الأحمـــر ، ومع مرور الوقت وجد أن البـــنطلون والإيشـــارب لا يجتمعان قط على حبل غسيل، ثم راح يلاحظ أن الإيشارب عندما يعلق ، يُغلق شيش البلكونة ، فى حين يبقى مفتوحاً أثناء تعلـــيق البنطلون. أصبحت ملاحظة الجارة، وحبل غســيلها ، وما يعلق عليه . . شغله الشاغل على مدى عدة شهور . . وكم حاول أن يتابع زوار البيت الداخليـــن أو الخارجين فلم يستطع . فكر أن يكتب للزوج خطاباً ينبهه فيه إلى ما يجرى فى بيته لكنه عـــاد فـــأحجم . وكـــان أحياناً يحاسب نفسه على متابعته للجارة لأنها جميلة ، ولأنه هو نفسه كان معجـــباً بهـــا . ذات مساء ، راح يرقب الشرفة ، وجدهـــا تجلـــس مـــع زوجها ، وقد راحا يلعبان الكوتشينة ، ويرشفان الشاى . . أما حبل الغسيل فلم يكن عليه أى شئ !

فضفضة

جـــاء علـــى غـــير موعد ، كان فى أشد حالاته حزناً وانكساراً . قدمت إليه الشاى فلم يقربه ، وقال :

– أتيـــت إلـــيك لأنك الوحيد الذى يمكن أن يساعدنى .

قلت:

– خيراً :

– ومـــن أيـــن يأتى الخير ؟ ! تمت خصخصة الشركة ، وتقرر الاستغناء عن 75% من الموظفين والعمال.

لـــم أجـــرؤ أن أسأله إذا ما كان هو منهم ، لأن حاله ينطق بذلك. أضاف :

– طبعاً ، ستوزع علينا مكافآت ، لكنها لن تكفى لإنشاء أى مشروع صغير ، وحتى إذا كانت تكفى ، فمن أين الجهد والخبرة والصحة التى تساعد على ذلك ؟

قلت له:

– لا تـــيأس بهذا الشكل . فالله هو رازقنا جميعاً ، ولابد أن نثق فى أنه إذا أغلق على عبده باباً ، فتح له باباً آخر .

قال :

– مـــا يضايقنى أننى كنت من أشد المخلصين للشركة، وأننى من بين قلة قليلة لم تمتد أيدينا على شئ منها، كما كان يفعل كثير ممن أبقوا عليهم !

وجدتـــنى أشاركه المأساة ، ورحت أؤكد له أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . نهض قائلاً :

– عمومـــاً أنـــا رجل مؤمن . وأنا واثق تماماً فى تدبير الله. لكنـــنى أحببت فقط أن أفضفض أمامك ، بدلاً من أن أنفجر وحدى من الحزن ، أو من الغضب !

صداقة لها جذور

جلـس ثلاثـتهم علـى المقهى يتحدثون . قال أحدهم :

– هل تعلمون يا جماعة أن هذا العام يوافق مرور ثلاثة وثلاثين عاماً على صداقتنا ؟ !

قال الثانى :

– اللهـم لا حسد . لكن موعدنا فى الخميس الأخير من كل شهر لم تمض عليه سوى خمسة أعوام فقط .

وعقب الثالث :

– فـى تصورى أننا نتفرد بهذه الصداقة الطويلة ، دون أن يعكرها أى نزاع أو خصام .

قال الأول :

– لعـل السبب يرجع إلى أن كلا منا مشى فى طريق لا يـتعارض مع طريق أى من الآخرين ، بل إنه يتكامل معـه . فأنـا مثلاً بدأت طبيباً صغيراً فى الريف ، ثم أصبحت لى عيادة كبيرة فى العاصمة ، ولم أتأخر عن

تقديم أى عون لمن طلبه منكما.

وقال الثانى :

–وأنا تدرجت من وظيفة مدرس إعدادى حتى أصبحت وكيل وزارة فى التربية والتعليم . وكل أبنائكما مروا على لمساعدتهم فى الاستعداد لامتحان الشهادات .

وقال الثالث :

–وأنا ما زلت أذكر كيف بدأت عامل نسيج ، ثم انتقلت للعمل عند والد زوجتى فى محل قماش ، حتى أصبح لـــى محـــلان كبـــيران فـــى وسط البلد . . ولعلكم لا تنكرون أننى زودتكما بأفضل صوف لتفصيل البدل .

عاد الأول يقول :

–لكـــن الملاحظ أن أحداً لا يمن على الآخرين بما فعله لهما .

قال الثانى :

–وهذا أروع ما فى صداقتنا ، التى ندعو الله تعالى أن يحفظها علينا .

الجيت سكى

فـــى الاستراحة ، راح ينتظر مع أسرته خروج الطبيـــب مـــن غرفة العمليات . كانت زوجته قد تورمت عيناها من البكاء . والبنتان ذاهلتان تماماً بسبب وقوع الحادثـــة أمامهمـــا ، أما هو فكان يفكر فى حالة الولد ومســـتقبله ، وعندما طاف بذهنه هاجس احتمال موته كاد يشل تفكيره بالكامل ، لكنه عاد فتماسك ، لكى يمنع زوجـــته وابنتيه من الانهيار. أشارت ساعة الحائط إلى أن العملـــية تجـــاوزت الســـاعات الثلاث، وكلما خرجت ممرضـــة حـــاول أن يعـــرف منها شيئاً ، لكنها لم تكن تجيـــب . فقـــط " اطمئـــن يا بيه " . حاول أن يقرأ ما يحفظـــه من القرآن ، لكنه لم يجد معه سوى الفاتحة ، التى كررها عشرات المرات. سمع زوجته تتمتم :

– وأين كان هذا مخبأ لنا ؟ " .

نظـــر إلـــيها بغـــيظ ، وقال لنفسه : أليس هذا بسببها . كانت شقة العجمى جيدة ، لكنهـــا صممت أن

نشـــترى شـــاليه فـــى الساحل الشمالى . ولكى تتشبه بالأغنـــياء ، أجبرتنى على شراء (الجيت سكى) للولد . الولـــد ضـــعيف ولـــم يكن يحق لنا أن نتركه يقوده فى الـــبحر بـــتلك السرعة الجنونية . كانت تقول لى: دعه يفعـــل مـــثل بـــاقى الشـــباب . كان الارتطام بالصخور مـــروعاً. وربنا يستر عليه . . بعد خروج الطبيب بأربع ساعات كاملة مرهقاً ، ومتجهماً . قال له بكل ثبات :

– ابـــنك سينجو . . لكنه يحتاج إلى علاج طبيعى لفترة طويلة ، قد تصل إلى سنة !

احتضـــن الزوجة والبنتين، وانخرط الأربعة فى بكاء شديد !

القرية النائية

لـــم يكـــن يتخـــيل على الإطلاق أن تلك القرية النائــية ، التى عين فى الوحدة الطبية بها سوف تشكل جـــزءاً أساسياً من حياته . فى الشهور الأولى رأى كل شئ حوله يبعث على القرف والاشمئزاز ، حتى أنه لعن اليوم الذى تفوق فيه ، والتحق بكلية الطب . أين الآمال الكـــبرى فـــى عيادة فسيحة بوسط البلد ، والذهاب إلى الـــنادى ، وتكويـــن صداقات وعلاقات مع أرقى عائلات العاصـــمة ؟ تبخرت كلها ، وهو يجلس فى تلك العيادة الحقيرة ، التى توجد فى سقفها مروحة لا تعمل ، ويقف علـــى بابها تمرجى بجلباب أزرق ، وطاقية صوف . أما المـــترددات علـــى العـــيادة فكلهن بلا استثناء سيدات عجائـــز، أو متوسطات العمر بكروش منتفخة ، ورائحة ممزوجة بالطين وروث البهائم.

وذات يـــوم ، دخلـــت مع خالتها فتاة فى حوالى العشرين . عيون خضراء واسعة ، وضفيرتان تتدلـــى

إحداهمـــا علـــى صـــدرها ، والأخرى على ظهرها حتى أســـفل الوســـط . لم يرفع عينه عنها طوال الوقت. أما هـــى فكانـــت تبتســـم بهدوء ، وتنظر إليه بثبات . فور خـــروجها نادى على التمرجى ، وراح يمطره بالأسئلة عنها .

– آه البنـــت أم عينيـــن خضره بنت عم فاضل ، صاحب الطاحونة . ناس طيبين وفى حالهم . ولهم ولد سافر إلى العراق منذ عدة سنوات وانقطعت عنهم أخباره .

كـــان يريد أن يلتهم كل خبر ، وراح يتلذذ بكل التفصـــيلات ، الـــتى لـــم يخرجها التمرجى الملعون إلا بصـــعوبة . فـــى الـــزيارة التالية لخالتها سألها عنها، ولماذا لم تحضر معها ؟ وهل هى مخطوبة ؟ وإذا تقدم هـــل يوجد مانع ؟ كان الطريق خالياً ، ولم تمض عدة أيـــام حتى كان يجلس إلى جوارها فى كوشة الفرح . . ولم يعد يكره القرية التى عين فيها .

المأمورية

عندما أبلغه الزملاء أن رئيس القسم قد رشحه للسفر فى مأمورية الإسكندرية أحس بفرحة كبرى ، ثم راح يســأل نفســه : كيف ؟ ولماذا ؟ ذهب إلى الرجل فشكره ، واستلم منه المظروف ، وتذاكر القطار، وحجز الفــندق. فــى بيــته بدأت حركة دائبة لتوضيب شنطة السفر . وعندما تبين أن شراباته قديمة ، نزلت زوجته فاشــترت له زوجيــن جديدين . كما أرسل ابنه لشراء أمواس الحلاقة .

فى الصباح الباكر كان يغادر الشقة ، وقد تزاحم حوله البنات والولد وأمهم . قال بهدوء : أشوف وشكم بخير . وعلى السلم سمع ابنتة الكبيرة تقول :

– خللى بالك من نفسك يا بابا .

أما الصغيرة فقالت :

– أوعى تنسى تجيب لى حاجة حلوة .

نهرتها أمها فابتسم ، ووضع نفسه فى التاكسى الـــذى أقلـــه إلـــى محطة مصر ، ومنها استقل القطار التوربينى إلى الإسكندرية . وهناك قرر أن ينهى المهمة فـــى الـــيوم الأول بـــدلاً من الثانى ، اتجه إلى الإدارة ، وســـلم المظـــروف ، ثم خرج ليشرب هواء البحر بملء رئتيه .

هكـــذا يكـــون أمامه ثلاثة أيام بليلتين . الفندق بـــالغ الفخامـــة . والإقامة كاملة . وعندما استلقى على السرير الوثير قال لنفسه : هل كل هذه الرحلة من أجل تســـليم مظـــروف ؟ وبسرعة أبعد الإجابة عن خاطره ، فقد طرق عليه الباب عامل الفندق ، حاملاً صينية طعام تحـــتوى على ما لذ وطاب ، وخلفه عامل آخر ، يحمل ســـلة فواكـــه تحية من مدير الفندق . أحس بالكثير من الـــزهو بنفســـه ، والامتنان الشديد لرئيس القسم الذى رشحه لهذه المأمورية .

بينهما . .

جلسا فى كازينو على النيل مثل باقى العشاق . راحــت تــتحدث كثيراً عن زواج أختها ، وأن صديقتها المفضلة سوف تتزوج قريباً . . كان يصغى حيناً ويلقى بخــياله فى مياه النهر أحياناً كثيرة . طلب لها أكثر من مشروب . تناولتها كلها . سألها إن كانت تريد طعاماً ، فاعــتذرت بالرجــيم . حمـــد الله أن الوقت قد حان لكى ينصـــرفا . أوصـــلها إلى منزلها ، قبل أن يتركها سألته للمرة الثالثة عن سبب شروده ، أجاب باقتضاب :

– تعرفين مشاكل العمل .

أكـــدت علـــيه أن يتلفن لها . فى أثناء العودة ، راح يتذكر تاريخ علاقته معها ، وكيف كانت فى البداية متمـــنعة علـــيه جـــداً . إنهـــا الآن هى التى تطارده ؛ وبصورة تدفعه إلى الزهد فيها . . لماذا ؟

منذ تعرف على الأخرى وهو مجنون بها . إنها تشبع حواسه ، ولا تتحدث معه إلا بلغة الجسد . كـــان

محـــروماً فــاندفع نحوها بكل رغباته التى لم تبخل هى الأخرى فى إشباعها . كان يدرك فى أعماقه أنها علاقة لــن تدوم ، لكنها فرصة لا تكرر . وعليه أن ينتهز كل لحظـــة فيها. من العجيب أنه كلما ارتوى أحس بالعطش ثانـــية . كانت توصله أحياناً إلى حالة من الدوار، الذى يعقـــبه صـــداع متواصـــل ، لكـــنه كان يستعذب الألم ، وينسى الدنيا ونفسه وصحته عندما يلقاها . .

هـــل يمكـــن الجمـــع بينهما ؟ أمنية لا يمكن أن تـــتحقق . متى يحسم باختيار إحداهما؟ كان أضعف من اتخـــاذ القرار . ولم يدرك أنه يسير فى شارع ذى اتجاه ممـــنوع إلا عندما صدمته بعنف سيارة . فى المستشفى كانـــت الأولى بجواره . أما الأخرى فلم تكلف نفسها أن تتصل بالتليفون !

اكتشاف

استلقى على ظهره فوق السطوح ، وراح يرقب النجوم التى امتلأت بها السماء ، ويفكر فى امتداد الكون الفسيح ، وكيف خلق الله السماوات والأرض . سمع نداء زوجته عليه ، فلم يرد متعللاً بأنه راح فى النوم . كان الجو حاراً جداً ، ولا توجد نسمة واحدة تخفف من الرطوبة التى زادت من إفراز العرق . مسح وجهه بكمه أكثر من مرة، وفجأة لاحظ نجمة تسير بانتظام بين باقى النجوم . راح يتأملها مندهشاً ويتابعها بكل اهتمام . كان العرق الناتج من رطوبة الجو يتزايد سقوطه فى عينيه ، وحاول جاهداً أن يصمد حتى لا يفقد موقع النجمة المتحركة بثبات . كاد ينادى على زوجته وأولاده لكى يشهدوا معه تلك الظاهرة الفلكية الفريدة: نجمة بين النجوم ، وهو وحده الذى

رصــدها ، وما زال يتابعها . . ماذا لو حملت هذه النجمة اسمه ؟ ألا يحدث ذلك في علم الفلك ؟ من يكتشف شيئاً يطلق اسمه عليه . وبينما هو كذلك ، صعد ابنه لكى يقول له أن أمه تريده فى المطبخ ، ليســاعدها فى تغيير أنبوبة البوتاجاز . أشار إلى ابنه ألا يرفع صوته ، وأخذ بيده مشيراً إلى نجمته المكتشفة . لم يفاجأ الولد كثيراً ، وقال ببساطة:

– يا بابا . . هذا قمر صناعى !

روقان بال

صبـحا مـن نومه فأحس بحالة من اللامبالاة ، راحـت تـزداد حدتهـا كلمـا مارس أحد طقوسه فى الصـباح. حنفية المياه غير محكمة وتحتاج إلى جلدة. ومـرآة الحوض مكسورة ، وأصبحت غائمة . وفرشاة الحلاقـة تسـاقطت معظم شعراتها ولم يعد فيها سوى القلـيل . أمـا ترابـيزة السفرة فقد تمزق المفرش من فوقهـا ، وتلـوى من الأسفل . واللوحات المعلقة التى تصور مناظر النيل ، والأهرامات ، وبرج القاهرة لم تعد ألوانها بنفس البريق السابق . بدت كلها باهتة . سألته زوجـته : ألم تتأخر عن العمل ؟ أجابها بفتور : سآخذ إذناً بساعة .

خـرج مـن المنزل ، وظل يمشى فى الشوارع حـتى تعـب ، فجلس على مقهى . طلب قهوة سادة ، فأحضـرها الجرسون بسكر زيادة. لم يعترض ، وراح يرشـفها مـتأملاً شريط حياته التى مرت دون أن يفعل فيها شيئاً ذا قيمة . ما جدوى الاستمرار ؟ وهل الباقى

يسـمح بـأى مـبادرة ؟ لقد ضعفت الصحة، وتراكمت الأمـراض المتناقضـة على الجسد الذى لم يعد يتحمل المزيد.

راودته فكرة شريرة لكنها بدت براقة : ماذا لو انسـحب تمامـاً من الحياة ؟ ! إنه متأكد أنه لن يضر أحداً: لا أسرته ، ولا أصدقاؤه ، ولا زملاؤه فى العمل . مـاذا يقـدم لهم ؟ لا شئ ! ماذا ينتظر منه ؟ لا شئ . وبينما هو مسترسل فوجئ بمن يهز كتفه بعنف :

– ماذا تفعل هنا أيها التلميذ المزوغ ؟

كان أحد زملائه فى العمل . لم يكد يجلس حتى راح يشـكو مـن مشـكلات الأولاد ، والـدروس الخصوصـية، وصـعوبة إيجاد عمل إضافى . . وفجأة توقف وقال له :

– هل تعرف أننى أحسدك على روقان بالك !

أوبرا عايده

زارنـــى فـــى الصـــباح الباكر ، وهو فى غاية الحـــزن . لم أشأ أن أسأله عن سبب الزيارة لكنى رحت أعـــرض علـــيه الإفطار، والشاى والقهوة . رفض كل شـــئ، وفجأة وجدته يقوم إلى باب الحجرة فيغلقها ، ثم يقترب منى ويقول :

– لـــدى ســـر أخشى أن أبوح به ، حتى لا يتهمنى أحد بالجنون أو الغباء أو التخلف أو بها جميعاً !

فزعت فسألته :

– إلى هذا الحد ؟

أجاب :

– وهـــو يكاد يحطم أعصابى ، كما أنه أثر بالفعل على حركة الهضم لدى .

قلت له :

– وما هو هذا السر ؟

– تعـــاهدنى أولاً على ألا تغير موقفك منى إذا عرفته ،

وألا يؤثر ذلك على صداقتنا .

بـــدأت بـــالفعل أنـــزعج . وتهيأت تماماً لسماع كارثة. همس بانكسار :

– أنا لا أحب أوبرا عايدة.

قلت له :

– نعم ، ماذا قلت ؟

قال بصوت أعلى قليلاً :

– أنا لا أحب أوبرا عايدة .

كـــدت أنفجـــر مـــن الضحك ، لكننى تماسكت ، وقلت له :

– وماذا فى ذلك ؟ ! أنت حر فيما تحب وتكره .

أجاب :

– كـــلاً . فإن رأيى يخالف المجتمع كله . ولم أجد أحداً حـــتى الآن قـــد صرح به ، كما أننى لم ألتق بإنسان يتفق معى فى هذا الإحساس .

حاولت تهدئته قائلاً :

– أعــتقد أن السبب فى ذلك هو جهلك باللغة الإيطالية التى تغنى بها الأوبرا .

– حسناً ، ولماذا تعرض علينا ؟

– إنها تعرض للأجانب الذين يفهمونها .

– طيب ولماذا تذاع فى التلفزيون ؟

– لمحاولــة إشاعة الذوق الفنى ، والإطلاع على عمل عالمى كبير .

– لكننى ومعظم أبناء الشعب الطيب لا نتكلم الإيطالية ، فلماذا تفرض علينا مشاهدتها ؟

صحت بانفعال :

– يا سيدى ، شاهد شيئاً آخر.

– انظــر . . ها أنت بدأت تغضب منى بسبب رأيى الذى صارحتك به .

– أبــداً والله . أنت معك الحق . لكننى أحاول أن أخفف عنك . نهض واقفاً وقال بانكسار:

– عموماً . . أرجو أن تحتفظ بهذا السر ، ولا تحدث به أحداً !

المفاجأة

أحســت بســعادة كبيرة حينما قالت لها زوجة البواب إن السكان الجدد فى الشقة الأعلى ، ليس لديهم أبناء سوى شاب واحد ، يبدو أنه موظف . كانت معظم المشاجرات مع زوجها فى الفترة الأخيرة حول مطالبته بالبحــث للبنتين عن عرسان . وكانت حجته تعتمد على أن كل شئ قسمة ونصيب ، وأنه لا يستطيع أن يعرض بناته على أحد للزواج . أما هى فكانت أكثر إيجابية. لم تــترك دعوة لعرس دون أن تذهب مع ابنتيها ، بعد أن تشرف بنفسها على تزيينها ، ووضع اللمسات الجمالية لكل منهما . وكانت طوال الطريق توصيهما بالابتسامة، والــرد المهذب على أى سيدة عجوز ، فقد تكون أما أو جدة لشاب مقبل على الزواج . .

عــندما وصــل زوجها من العمل ، أخبرته أن الواجب يقضى بتهنئة السكان الجدد فى الشقة الأعلى . حسب الزوج أن الزيارة بعد يوم أو يومين لكنها أكدت

علـــيه أن تكـــون فـــى مساء اليوم ، وأنها قد أحضرت بـــالفعل تورتة لتقديمها فى تلك المناسبة. تحامل على نفســـه حتى لا يغضبها ، فيرتفع عندها الضغط والسكر ويحـــدث لهـــا مـــا لا يحمد عقباه . فوجئ وهو يرتدى ملابسه أن البنتين أيضاً ستذهبان معهما . حين سألها :

– وما لزوم ذلك ؟

أجابته:

– اسكت أنت .

عـــندما جلسوا مع السكان الجدد وجدوهم غاية فـــى الأدب والـــذوق ، وراحـــت أم الشاب تتحدث عن فضـــائل ابنها ، ومثابرته فى العمل ، ثم سكتت فجأة ، وقالت :

– لكـــن المســـكين يقطـــع قلبى . . عندما تفاجئه أزمة الربو !

حديث صديقين

جلس يستمع لصديقيه . قال الأول :

– لـــم يعـــد ســـوق العقارات كما كان. فقد زادت تكلفة البناء، وسعر الأرض ، ولم يعد يوجد المشترى الذى يدفع (كاش) .

وقال الثانى :

– نفـــس الشـــئ بالنسبة لقطع الغيار. فهى تكلف الكثير مـــن المشـــقات والسفر والجمارك ، ومعظمها أصبح مضـــروباً ، وأخيراً فإن أصحاب السيارات لم يعودوا يشترونها إلا فى أضيق الحدود .

عاد الأول يقول :

– لقد وضعت فى عماراتى ما يقرب من عشرين مليوناً، وكل همى أن أستعيدها ، وليس أن أكسب منها شيئاً.

رد الثانى :

– وحـــياتك ، نفـــس المـــبلغ تقريـــباً ملقيـــى عندى فى المخازن، التى أصبح يُرهقنى إيجارها الشهرى.

قال الأول :

– والمصـــيبة أن العمـــر يتقدم بالإنسان ، والأمراض لا تتركه ، ولا تكاد تقيم فى مستشفى أسبوعاً إلا وتطلب منك مبالغ خرافية .

قال الثانى :

– فـــى الأســـبوع الماضـــى فقط ، دفعت لزوجتى أشعة وتحالـــيل بأكثر من عشرة آلاف جنيه . . وهنا وجد ثالثهم من الضرورى أن يتدخل فقال بانفعال:

– ألف سلامة ، وهل شُفيت ؟

أجاب :

– أبداً ، كانت فقط تعمل تشيك .

سكت محرجاً . أحس الأول بذلك فقال له :

– أنت يا عم مرتاح من هذه الهموم .

قال لهما مبتسماً :

– ربـــنا يكون فى العون.

لكنه راح فى سره يلعن اليوم الذى عرفهما فيه!

مسألة محيرة

جلس الثلاثة يتحدثون . وفجأة سأل أحدهم :

– أريــد أن أعــرف يا جماعة إجابة سؤال يؤرقنى منذ مدة طويلة .

– ما هو ؟

– هل يمكن أن تقوم صداقة مجردة بين رجل وامرأة ؟

أجاب الأول بسرعة :

– مســتحيل . أى علاقــة بين رجل وامرأة لا تخلو من الاستلطاف الذى ينبع من الاشتهاء ، وهذا يؤكد أنه لا توجد على الإطلاق صداقة بين الرجل والمرأة.

وقال الثانى بهدوء :

– لكن هذا لا يحدث فى كل الحالات. فأنا شخصياً أعرف رجالاً ونساء ، تقوم بينهم صداقات رائعة .

قال الأول :

– ما تصفه بالروعة هو نفسه القناع الذى يخفى به كلا

الطرفين ما يحس به جسدياً .

قال له الثانى :

– مشـكلتك أنك تحكم على الآخرين من خلال ما تحسّ به أنت .

صاح الأول غاضباً :

– يـا عـم اسكت . . المسألة فى حقيقتها لعبة ، وهى تـبدأ عـند الـرجل والمرأة منذ الطفولة ، حتى وهم يلعـبون لعـبة العـرايس والعرسـان . بذمتك ، ألم تلعبها ؟ !

قال الثانى :

– أنـا معك فى أن أى علاقة لا تخلو من جانب حسّى ، لكنك تعمم وتصدر أحكاماً قاطعة .

أجاب وهو ينظر بعيداً :

– لأننى متأكد منها .

التفت الثانى إلى صاحب السؤال :

– ولماذا أنت بالذات متحير فى ذلك ؟

– لأننى أعرف زميلة فى العمل ، وقد مضت فترة طويلة ، ونحن نتبادل المجاملات ، ونتصارح فى كثير من الأمور. وقد أخذت علاقتنا تقوى إلى درجة لم أعد أستطيع معها أن أقول : هل هذا حب أم صداقة؟

قال الأول :

– يا سيدى إنه حب . حاول فقط أن تقبّلها وسوف تجد أنها لن تعترض .

قال الثانى :

– وربما تصفعه ، وتكتب فيه شكوى تفصله من العمل.

أطرق صاحب السؤال وهو يتمتم :

– والله المسألة ما زالت محيرة !!

رُبَّ صدفة . .

لـم يكـن يتصور أو حتى يحلم أن يكون لقاؤه بهـا، بعـد تلـك السنوات الطويلة، بأفضل مما حدث . اصـطحبته المضيفة إلى مكانه فى الطائرة فوجد نفسه فـى المقعد الموازى ، وليس بينهما سوى ممر . أبدى دهشته بلقاء الصدفة ، وراحا يتحدثان بتحفظ عن تأخر موعـد الإقلاع ، وإجراءات التفتيش ، والسوق الحرة . تجرأ قليلاً فسألها عن سبب الرحلة أجابته :

– أنهـا ذاهـبة لـتحل محـل زوجة أخيها لرعايته فى المستشفى العالمى.

أسرع مهللاً:

– يـاه ، إنـنى عـادة أنـزل فى الفندق المجاور لها . استمرت :

– لقـد قضـت المسكينة أكثر من شهر ، وهى مضطرة للنزول إلى مصر لرؤية أولادها .

راح يقول وقلبه ينتفض من السعادة :

–طبعاً أنا فى خدمتك . وألف سلامة للأخ العزيز .

توقفت بينهما المضيفة ، فلم يسمعها تشكره . بعد أن انصرفت وجدها تقلب صفحات مجلة . راح يفكر فى إعادة مواصلة الحديث ، لكنه لم يجد ما يقوله . ألقى برأسه إلى مسند المقعد ، وعاد بذاكرته إلى ذلك الأخ الذى أنذره بضرورة قطع العلاقة وعلى الفور. كان مركزه حينئذ يسمح بالإطاحة به ، وتشريد عائلته . وجد من السلامة أن ينسحب ، أما هى فكانت أكثر شجاعة، وعرضت عليه أن يتزوجا ويضعا أسرتها أمام الأمر الواقع ، لكنه رفض ، بل الأحرى أنه جَبَن . . نظر إليها خلسة فوجدها أكثر جمالاً واكتمالاً. طبعاً هى الآن متزوجة ، ولديها أولاد، وربما أحفاد . تمنّى أن يمد يده فيمسك بيدها كما كانا يفعلان دائماً ، لكنه تماسك قائلاً لنفسه : عندما ينزل لابد أن يكون هناك لقاء طويل بيننا ، ومن يدرى ماذا سيحدث ؟ مرت

المضـــيفة ثانــية فحجبت عنه الرؤية . وعندما ابتعدت
وجدهـــا نائمة . الآن فقط يمكنه أن يتأملها باطمئنان .
لكـــنه لـــم يفعل . وأغمض عينيه لكى يسترجع كل تلك
الأيـــام الجميلة التى مرت بهما . راح يلوم نفسه: لماذا
انسحب بسرعة عند أول تهديد؟ وكيف تركها تفلت من
بين يديه بتلك السهولة ؟ ثم ماذا كانت مسيرة حياته لو
أنـــه تزوجها؟ أحضرت المضيفة الطعام . راح يتناوله ،
وهو يفكر فيما سيفعله عند هبوط الطائرة !

الأجازة الأطول

لــم يصَــدق نفسه عندما سمح له طبيب العمل بأجــازة مرضــية لمــدة أسبوع . راح يراجع الورقة ، ويتحقق من التوقيعات وختم النسر فى أسفلها. وعندما خــرج إلــى الشــارع أحسّ بلفحة باردة من الهواء ، استنشــقها بفــرح كطفل! أجمل ما فى الأمر أن أسبوع الأجازة يتوافق مع أسخف فترات العمل بالإدارة وأشدها ازدحامــاً بــالعمل . هكــذا يضرب رئيسه المباشر فى الصميم . أما زميلاه الحاقدان فسوف يغرقان فى ملفاته بالإضــافة إلــى ما لديهما. إنهم جميعاً يستحقون. فهو أكــثر الموظفيــن عملاً وجهداً وأقلهم مكافآت وحوافز. وقــد هــدى الله الطبيــب ، فلم يكد يسمع أولى كلمات الشــكوى حتى سمح بأسبوع وكأنه أحس بالظلم الواقع علــيه . أســبوع كامل يلازم فيه البيت، ولا يصحو قبل العاشــرة ، وربمــا يصحب زوجته والولدين إلى زيارة أمه فى القرية . لكن ماذا يقول لزملائه حين يزورونه ؟ إنها نصيحة الطبيب بضرورة استنشاق هواء الريف.

كـــان يخطـــو فــى الشارع بخفة غزال ، ولم يشعر أنه بصحة جيدة كما هو فى هذا الوقت بالذات . عند عبور الشــارع صــدمه موتوسيكل يقوده شاب ممن يوصلون الوجــبات الســريعة . الــتف حوــله الناس، وتحسسه البعض ، وسمع من يقول إن ساقه مكسورة . استدعوا الإسعاف . وفى المستشفى أخبره الطبيب أن الجبس لن يتم فكه قبل مرور شهر كامل قال بصوت خفيض :

– والعمل يا دكتور ؟

– طبعاً سنعطيك أجازة طويلة . شهراً على الأقل . .

نجدة السماء

حدث هذا فى أوائل الستينات . لم يتبق معه من العيدية سوى سبعة قروش . كان أصدقاؤه قد تواعدوا علـــى الذهـــاب إلـــى السينما . لا يقل ثمن التذكرة عن عشـــرة قـــروش ، هـــذا بالإضـــافة إلى ما يلزم لشراء السندوتشـــات والمشـــروبات، وأكـــياس اللـــب والفول الســـودانى . لم يجد لديه الشجاعة ليعتذر إليهم ، حتى ولـــو بالمـــرض ! ألـــم يكن هو صاحب الفكرة ؟ مشى مطـــرقاً ، وهـــم يمرحون . لاحظ أحدهم صمته فاقترب منه سائلاً :

– ماذا يضايقك ؟

– لا شئ .

لـــولا أنـــه من الأصدقاء الذين لا يتوقفون عن الثرثرة لأخبره عن المأساة . قبيل الوصول إلى السينما صاح أحدهم :

– أنا اشترى لكم السندوتشات، أعطونى فقط ثمنها .

أخرج كل منهم خمسة قروش. فعل نفس الشئ ولم يتبق معه سوى قرشين . لعن الأقارب الذين تخلفوا عن زيارتهم فى العيد. وحتى الذين جاءوا ماذا أعطوه؟ لـــم يتجاوز مجموع ما حصل عليه ثلاثين قرشاً . انتهى نصـــفهم فى اليوم الأول ، وربعهم فى الثانى . وها هو الـــيوم الثالـــث لا يـــريد أن ينـــتهى على خير . . قبل وصـــولهم إلـــى الســـينما بخطوات ، اقترب منه أصغر الأصدقاء وهمس فى أذنه :

– هـــل تقبل أن تحتفظ معك بنقودى ، فأنا أخشى عليها من الضياع .

ودسَ فى جيبه مائة وخمسين قرشاً. أحس على الفور أنها نجدة من السماء !

النبوءات الثلاث

زاره فى مكتبه لأول مرة . راح يحدثه أنه سمع عنه الكثير ، وكان يتمنى منذ وقت طويل أن يراه وجهاً لوجـه. وفجـأة توقف عن الحديث ، وقال له : تسمح تعطيـنى كفّـك . كاد يرفض فى البداية ، لكنه استسلم تحـت إصـراره ، ونظـرة عينيه البراقتين. أمسك كفه بأطراف أصابعه وقال :

– ستكون فى حياتك زوجة أخرى .

ثم أردف :

– وسـتنتقل مـن مجال عملك هذا إلى عمل آخر مغاير تماماً .

سـحب كفـه منه ، ونهض واقفاً ، لكن الرجل استمر بثبات محدقاً فى عينيْه :

– وسوف يخونك صديق من أقرب المقربين إليك .

قال له بحدة :

– أسعدني لقاؤك ، واسمح لى الآن فأنا فى انتظار مكالمة هامة .

لم يشعر بالحرج وهو يخرج ، وعند الباب التفت إليه مبتسماً وقال :

– لا تعلق أمالاً كبيرة على تلك المكالمة !

تنفس براحة عندما خرج ، وطلب من السكرتيرة أن تعطيه المكالمة بمجرد وصولها . لم تمض دقائق ، حتى دخلت السكرتيرة منزعجة :

– تصور يا أستاذ أنهم اتصلوا ليقولوا إن طائرة الوفد مختطفة .

– وأين هى الآن؟

– لا يعرف أحد وجهتها ويبدو أنها سقطت .

تذكر كلام الرجل وهو ينصرف . وراح يفكر فى كل ما قاله ، ووجد قلبه يغوص فى صدره : هل صحيح أن باقى نبوءاته ستتحقق ؟!!

مشاعر متباينة

لم يكن يعطى لها كثير اهتمام عندما تحدثه عن إمكانـــية اختيارها فى منصب حزبى كبير . كما لم يكن يتصـــور أن يحـــدث لهـــا ذلك . لكنه كان يتفوه ببعض عبارات التشجيع ، ويختمها بقوله إنها تستحق أكثر من ذلـــك بكثير . وفجأة حدث غير المتوقع ، وظهر اسمها بيـــن عشـــرة أعضـــاء فـــى الجريدة الرسمية . وراح المهنـــئون يـــتوافدون ويتلفنون وهو لا يكاد يصدق ما يحـــدث . كـــان ينتظر المساء بفارغ الصبر ليخلو إلى نفســه بجوارهـــا ويعـــيد بناء الأمور . كيف ستمضى حـــياتهما ؟ وهـــل سيتحمل شهرتها وخموله ؟ أما فى مجـــال عمله ، فقد راحت نظرة المحيطين به تختلف ، وزاد احترامه كثيراً، حتى رؤساؤه أصبحوا يجاملونه ، وانفتحـــت أمامـــه أبواب بعض اللجان التى كانت مغلقة مـــنذ ســـنوات . أســـعده ذلـــك كثيراً ، كما أسعده أكثر محـــاولات الـــتقرب إليه ، لقضاء خدمة ، أو الحصول على توصية من المدام . .

فـــى المـــنزل راح يراقب باهتمام ماذا سيحدث للـــنظام الســـارى مـــنذ الـــزواج : إعداد الوجبات فى مواعـــيدها ، والاهتمام الخاص بطبق السلطة ، والعناية الفائقة بملابسه ، وكى القمصان ، ووضع الشرابات فى مكانهـــا المحدد . . وجد الأمور تسير كالمعتاد . أحس بـــالخجل مـــن نفسه . لكن ما كان يغيظه هى الدعوات الرسمية الموجهة إليها على العشاء. كان يصمت تماماً وهـــى تحدثـــه فى منتصف الليل عن لقاءاتها مع كبار المســـئولين فـــى الـــبلد ممن يتابع أخبارهم فى وسائل الإعـــلام . ولـــم يعد يجد ما يحدثها عنه سوى انشغاله على مستقبل الولد والبنت ، أما هى فكانت تبدو مطمئنة تمامـــاً مـــن هـــذا الجانب . أحس بضرورة العودة إلى أصـــدقائه القدامـــى الذين انقطعت علاقته عنهم، ووجد لديه شعوراً جارفاً يدفعه دفعاً للحنين إلى الماضى . .

الحاجة إلى الدعاء

استمرت علاقتهما لأكثر من سنتين . صداقة يسودها الاحترام إلى جانب مشاعر مشتركة تجاه كل ما يجرى فى الإدارة من أحداث ، حتى قبول أو رفض كل منهما للأشخاص كان متحداً . وفى المنزل ، كانت اتصالاتهما التليفونية يومياً لا تتوقف عن تحليل كل ما يمر أمامهما وحولهما، لكنه فى الفترة الأخيرة ، راح يراها كثيراً فى أحلامه وهو نائم. ما هذا الذى يحدث؟ حصل على أجازة ، وسافر مع أسرته إلى القرية . قال لنفسه : هناك تصبح الفرصة متاحة لإعادة تقييم الأمور. لم يمض سوى يوم واحد حتى وجد أنه أخطأ بالابتعاد عنها . وتمنى لو اتصل بها من القرية . لكن التليفونات غير متوافرة . كاد يقول لزوجته إنه قد سئم القرية ويرغب فى العودة إلى البيت، لكنه وجدها مع الأولاد فى غاية السعادة . سكت واجماً ، وانكفأ على نفسه . لم يكن هناك من حل آخر سوى أن يعترف لها عندما يعود بحقيقة مشاعره . وحينئذ : إما أن ينتهى

ما بينهما ، أو ينفتح طريق آخر ، لا يعرف بالضبط إلى أيــن يؤدى . لاحظت أمه أنه لا يأكل بشهيته المعتادة ، اقتربت منه وربتت على كتفه قائلة :

– مــا الــذى يشــغل بالك يا بنى ، زوجتك بنت حلال. وأولادك مــثل الــزهور . ربــنا يفتح عليك ، ويهدّى سرك..

أحس براحة كبرى، وقال لها بانكسار شديد :

– آه يا أمى . . كم أنا محتاج فعلاً إلى دعائك ! !

النصيحة الواجبة

ظلت تلح على زوجها فى استحضار شغالة . عثرت أخيراً على واحدة . البنت من الريف . وأهلها منكسرون . صحيح أنها جميلة بعض الشئ ، لكنها فيما يبدو بلهاء . تقبل الزوج مرغماً أجرتها التى ستؤثر حتماً على ميزانية البيت. أما هى فأكدت له أنها ستشارك فيها بجزء من مرتبها . فى الأيام الأولى ، سار كل شئ على ما يرام . البنت شغالة بجد ، وأصبحت كل المتطلبات متوفرة . النظافة ، ودفع فواتير النور ، والغاز ، وإحضار الخضار ، وحتى إعداد بعض الوجبات . أما العناية بالأولاد فقد بلغت الغاية. البنت تحبهم جداً ، وتظل تلاعبهم طوال الوقت ، إلى درجة أنهم تعودوا عليها ، ولم يعودوا يزعجون الزوجة فى حجرتها وهى تنام بعد الظهر.

بمرور الوقت بدأت النعمة تظهر على البنت ، وخاصة بعد أن أصبحت ترتدى بعض الفساتين القديمة للزوجة : المقاس متقارب ، لكن المطلوب أن تغلق

فتحة الصدر قليلاً . وذات يوم ، أبدى الزوج ضيقه من ارتداء البنت نفس فساتين الزوجة ، وعلق متهكماً :

– حتى لا أخلط بينكما !

ظلت العبارة تتردد فى إذن الزوجة ، ثم استقرت أخيراً فى قلبها . بدأت تنظر للبنت بعين أخرى. الشباب ، والصحة ، والحيوية ، ثم ضفائرها المكتنزة بدون مقويات أو شامبو . . وراحت تلاحظ نظرات الزوج إليها ، وأسلوب تعامله معها . وفى العمل ، احتلت البنت جزءاً كبيراً من تفكيرها . ماذا لو ذهب الزوج . لأى سبب إلى الشقة ، وتواجدا وحدهما؟ رأتها إحدى الزميلات غارقة فى همها فسألتها عن السبب . صارحتها بشكوكها . قالت لها :

– أنت مجنونة . . اطرديها فوراً ، بدلاً من أن تخرب بيتك !

عادت إلى العمل وهى مصممة على تنفيذ النصيحة .

المطلوب

زارنى ذات مساء وهو محطم تماماً ، وفى حالة مذرية . عرضت عليه مساعدتى بكل ما أستطيع . نظر فى عينى طويلاً ثم قال :

– خـلاص . . لـم أعـد أحـتمل أن أكـتم سرى عن الأصدقاء ، وخصوصاً أنت .

قلت له :

– ثق أننى سأشاركك فيه ، ولن أبوح به لمخلوق. قال:

– أنا مطلوب فى ثأر . .

أذهلتـنى المفاجـأة تماماً ، لم أجد كلمة واحدة أقولهـا له . ورحـت أذكـر كيف بدأت علاقتى به فى الكلـية، عندما كان أكثرنا مرحاً وانطلاقاً . كان يضحك مـن قلبه . وكان يشارك الجميع مشاكلهم . أما شهامته فكانـت مضرب المثل . لم يتخلف عن عزاء زميل ، أو الوقـوف إلـى جانـبه فى مسألة مادية ، أو عاطفية . ولأنه كان من أسرة ميسورة ، فإن أموالـه فاضـت

بســخاء علــى الجميع . أكبرته كثيراً عندما علمت أنه يشترى الكتب لبعض الزملاء من ذوى الحالات الصعبة. قلت له :

– لكننى أعرفك الآن من أربع سنوات ، ولم يحدث شئ. فلماذا الخوف ؟

– كــان وجــودى فى الكلية غطاء جيداً لى . لكننا الآن علــى أبــواب الامــتحانات ، وعندما نتخرج ، سوف يتعقبوننى .

– من هم ؟ أولاد عمومه لهم ثأر علينا.

– ولماذا أنت بالذات ؟

– لأن المقتول منهم كان خريُج جامعة ، ولابد أن يكون المقابل على نفس المستوى . هذه هى التقاليد لدينا .

رحــت ألعن التقاليد ، وأحسست بضيق شديد ، كاد يجفف الريق تماماً فى حلقى .

مضـــت فـــترة الامتحانات ، وظهرت النتيجة .
نجحنا كلنا ، ثم افترقت بنا الطرق فى وظائف مختلفة .
قابلته مرتين أو ثلاثة ، كان مرحاً كعادته ، لكنه أصبح
أكـــثر اتزاناً وميلاً إلى الصمت . وفى أحد أيام الجمعة ،
بينما أشرب شاى الصباح وأنا أتصفح الجريدة ، وجدت
نعـــيه يملأ عاموداً كاملاً : على أثر حادث أليم ، فقدت
أســـرة (كـــذا) زيـــنة شبابها (فلان) . . . ومرة أخرى
أحسست بجفاف الريق فى حلقى . .

دقة توقيت

أعلـــن عـــن فـــوزه بالجائزة وهو على فراش المـــرض . توافـــد المهنئون، واتصل كبار المسئولين ، وامـــتلأت الشقة بباقات الورود ، وراحت ابنته الكبرى تجمـــع الكـــروت ، أمـــا زوجته فكانت حريصة على أن تطلع عليها الأقارب والجارات .

فـــى المســـاء هـــدأت الضجة قليلاً ، وبدأ الألم يـــتزايد ، فاتصلوا بالطبيب. حضر على الفور ، وأعطاه بنفســـه حقـــنة مهدئة ، وأوصى بعدم الإزعاج . قضى الجمـــيع ليلـــتهم وهـــم قلقـــون عليه ، وراحوا بهمس يتحدثون .

قال الابن الأكبر :

– من الآن علينا أن نمنع عنه التليفونات .

وقالت البنت الوسطى :

– المشكلة فى الضيوف الذين يزورونه .

أما الأم فتمتمت :

– لا أدرى أين كان هذا مخبأ لنا ؟ !

حاول الابن أن يخفف عنها فقال :

– لكــن يا ماما الجائزة جاءت . ومن المؤكد أن مبلغها الضخم سوف يحل لك مشاكل كثيرة .

وسألت البنت الكبرى :

– ألا يمكــن أن يؤدى حصوله على الجائزة إلى اهتمام الدولة به ، وعلاجه بالخارج .

قاطعتها الأم :

– اسكتى يا بنت . . خارج ايه ؟ ! ربنا يشفيه ، ويقوم لنا بالسلامة .

نامت الأم فى حجرة البنات . عند الفجر ، قامت للاطمئــنان علــيه . فتحت باب الحجرة بهدوء شديد . اقتربــت مــن السرير ونادته بصوت خفيض. لم يرد . وضــعت يدهــا على صدره . وجدته بارداً ، وليس به نــبض. أطلقت صرخة مدوية أيقظت جميع أهل البيت ، وراح الجيران يتوافدون للعزاء . .

تسريب القطة

عاشت معهم عمراً طويلاً ، منذ أهديت إليهم وهــى تكاد تلحس حبات اللبن من فنجان القهوة ، حتى أصبحت ناضجة . ولدت عدة بطون . وكانت لهــا معهم حكايات كثيرة أصبحت ذكريات يحكونها للضــيوف ، فتملأ السهرات ضحكاً وفرفشة . هل تذكر يا فلان عندما أكلت زوج الحمام من المطبخ ، وجعلتنى فى نصف هدومى أمام المدير وزوجته ؟ وهــل تذكريــن يا فلانة عندما اختبأت فى دولاب الملابــس ، وحيــن أردت فتحه اندفعت فى وجهى فجرحتنى ولم أذهب يومها للحفل المقام لتكريمى ؟ لكــنها فــى كل الأحوال ، كانت وديعة ومسلية . وأجمــل مــا فيها أنها لم تخربش أحداً من أطفال الضيوف ، الذين كانوا يتجاوزون معها كل حد فى اللعب والمضايقة.

لكـــن المحظور جاء أخيراً من الطبيب الذى أوصى بضرورة التخلص منها ، لأنها تسبب خطورة على حمل المدام . كان عليه أن يتخلص منها بأى شكل: بالإهداء إلى أحد المعارف ، أو بتسريبها فى أحد الشوارع البعيدة . لم يقبلها أحد ممن يعرفهم ، لأنهـــا كانـــت كبيرة على أولادهم ، لم يبق إلا أن يضـــعها فى حقيبة ، ويحملها معه ، وقلبه يتقطع لفراقها على هذا النحو المهين .عند أول خرابة فتح سوســـتة الحقيـــبة ، فوجدها تنظر إليه بانكسار ، أغلقهـــا ومشى . . ظل يمشى حتى وقفت بجواره ســـيارة ميكروباص ، ركبها وظل جالساً حتى آخر الخـــط . المكـــان فسيح ، ولا يوجد أى مبنى . لم يطاوعـــه قلـــبه علـــى إخراجها من الحقيبة . فتح السوســـتة وتـــركها بجـــوار الموقـــف ، واستقل الميكروباص عائداً . سمع وهو بداخله من ينادى – يا جماعة . . فيه حد نسى شنطة فيها قطة . بلع ريقه الذى كان بطعم الملح ، ولم يرد !

نفس الطريق

يوم خرج من حبه الأول ، كان واثقاً من أنه لن يقــع مــرة أخرى فى الحب ، وأنه فقد قلبه الذى كان ينــبض بعــنف فى حالتى اللقاء والهجر . مر أكثر من عــام ، وفجــأة لمــح وجهها فى الشرفة ، فلم يستطع الإفلات من سحرها . كانت هادئة ورزينة ، أما الوصول إلــيها فكان صعباً للغاية . راح يتحين الفرص للقائها ، وفــى ســبيل ذلك، ارتكب أكثر من حماقة . وجد نفسه يمضــى فــى طريق لا يقل خطورة عن الطريق الأول ، وأنـــه يكــاد يكرر نفس النهج . كتب إليها عدة رسائل تفــيض شــوقاً ، وتعــتمد على الصدق . الصدق يدخل بسهولة قلب المرأة ، ويرغمها أخيراً على الاستسلام . وذات يــوم ، جــاءه الــرد بالإيجاب ، وأصبح الطريق أمامـــه ممهــداً لكـــى يــبدأ معها المشوار من الخطوة الأولى. فى هذه المرة ، كان أكثر مباشرة ، فتحدث عن الشــبكة والمهــر والــزواج والشقة . . ولأنه لم يكن مستعداً ، راحت تطالبه بالإنجاز . أى إنجاز وهو فارغ

الجيب لا يملك إلا راتبه ؟ ! وجدت نفسها مضطرة لكى تحكـــى له عن العرسان الذين يتقدمون إليها ، وإلحاح الأســـرة ، ونظـــرات الجيران . . وجد نفسه فى نهاية الطـــريق الـــذى قـــاده إلـــيه حبه الأول . وقف وظهره للحـــائط، لا يقـــوى أن يـــرفع ذراعـــه بالوداع ، وهى تنصرف دامعة العينين . قال لنفسه :

– سوف تنسانى كالأولى .

ثم وهى تختفى فى نهاية الشارع :

– وسوف أنساها كالأولى . .

رسائله إليها . .

كتب إليها يقول :

" يـــا أغلى من حياتى . . كيف تستطيع الكلمات المكونـــة من حروف ، والمسطرة على الورق أن تنقل إليك نبض قلبى ، ولهيب شوقى ، وحنينى المتزايد إلى رؤيـــاك ؟ وهـــل يمكن لأى وسيلة أخرى أن أستخدمها لتعـــبر لـــك عـــن لهفة روحى ، وعطش جوارحى إلى لقـــائك؟ وبـــأى طريقة أقول لك إننى قد أصبحت أسير جمـــالك ، وعاشقك الذى يذوب وجداً على باب قصرك ، ويكفـــيه أن تلقى علىّ من شرفتك العالية نظرة واحدة لكى تمنحيه الأمل ، الذى به يبقى ..."

وفى مرة ثانية كتب إليها يقول :

" إن إطلالـــتك علـــىّ مثل إطلالة الشمس على كهف عميق فى جوف الجبل ، كهف بارد من الرطوبة ، مملـــوء بالظلمة . لكنك عندما تدخلين بأشعتك الساطعة والدافـــئة إلـــيه ، فإنه يضئ ويهتز بالحياة بعد السكون والوحشة . لا أقدر أن أستغنى عنك بأى شئ ، حتـــى

ولــو كــان أغلـــى كنوز الأرض . فقد أصبحت لى مثل المـــاء والهــواء والشــمس والفضـــاء ، بها أعيش ، وبدونها أنتهى ..."

أما فى المرة الثالثة ، فكتب إليها قائلاً :

" لقــد تأكدت أننى مشرف على الهلاك ، طالما أنــك هكــذا تبتعدين عنى ، وترتفعين رويداً رويداً عن الأرض الــتى أمشـــى علــيها . ما أقسى ما أعانيه من ظلمات اليأس ، وألم الفراق ، واعتصار الروح عندما لا تحــنو عليها يد مَنْ تحب ! لقد جفوت من أجلك أهلى، وابــتعدت عــن أصدقائى لأنهم جميعاً كانوا يشغلوننى عــنك، وأنا حريص على أن أكون بكل جوارحى لك أنت وحدك ، وليس لأحد سواك ..."

وفـــى المـــرة الـــرابعة ، كاد يكتب ، لكنه قال لنفسه: وما فائدة هذه الرسائل ما دامت لا تصل إليها ، ولا تعــرف شيئاً عنها . ثم عاد يقول : وماذا لو وقعت فـــى يــد أحــد ممـــن أعرفه ، وسألنى : من هى ؟ هل سيقتنع فعلاً بأنها لا وجود لها ؟ !

صلة الرحم

كـــان المـــتحدثون فى البرنامج ثلاثة. هو وزميلان: رجل آخر وامرأة . وحرصت المذيعة أن تقدمـــه فـــى أبهى إطار : المؤهلات ، والمنصب ، والجمعـيات الـــتى يشـــارك فيها ، واللجان التى يرأسها. وراح زميلاه يتحدثان عن أهمية الأقارب فى حياة الإنسان ، وروعة صلة الرحم التى تدخل على قلوبهم الفرحة والامتنان .

قال الزميل :

– إنـــنى أخصص العيدين وشهر رمضان للأهل . أفتح بيتى لهم ، أو أسافر إليهُم فى القرية حيث أزورهم واحداً واحداً.

وقالت الزميلة :

– إننى أجعل كل ما أحصل عليه من مكافآت مناصفة بينى وبين أقاربى ، حتى ولـــو من بعيد . وكمـــا

يقول المثل : اللى يحتاجه البيت يحرم على الجامع.
ولا تتصوروا مدى السعادة التى يشعرون بها لمجرد اتصالى بهم فى التليفون.

وعندما أعطيت له الكلمة . قال :

– إن صلة الرحم تعبير لا يوجد إلا فى لغتنا العربية، وديننا الحنيف ، ومهما حاولتم البحث عن ترجمة محـــددة للتعبـــير العـــربى فى أى لغة أجنبية لن تجدوهـــا . وهـــذا دليل واضح على أننا ، دون شعوب العالم كله ، ننفرد بتلك الخصلة الأخلاقية الفريدة .

كان يتحدث وعيناه مغمضتان. لم يجرؤ أن يفتحهما حتى لا تشاهده أخته الكبرى قعيدة الفراش مـــنذ سنوات . . لم يذهب إليها منذ عدة مواسم ، وحين تطلبه فى التليفون يشير لزوجته أو أبنائه أن يقولوا لها إنه غير موجود . عندما انتهى البرنامج،

سلم على الضيوف ، وفى السيارة قال للسائق :

– لـــن نعـــود إلـــى البيـــت، سنذهب أولاً إلى باب الشعرية.

اندهش السائق ، لكنه استمر :

– هناك شخص لابد أن أمر عليه أولاً .

قال السائق :

– لكـــن الشـــوارع هناك ضيقة ، حضرتك عارف العنوان؟ رد قائلاً :

– ســتقف أنـــت فى الشارع الرئيسى ، وأدخل أنا ماشياً إلى هناك . ربع ساعة فقط . لن أتأخر كثيراً.

تحســـس النقود التى فى جيبه، ليتأكد أنها ستكفى لأداء الواجب الذى أهمله طويلاً . .

أسئلة فجّرها الماضى

لــم يكــن يتصــور أن تتطور الأمور على هذا الــنحو. مجــرد زيارة إلى موطن صباه ، التقى خلالها ببعض أصدقاء الطفولة ، وزار الشقة التى عاشت فيها أول أمــيرة ظهــرت فــى حياته . كان حبه لها صافياً كالــندى ، رقيقاً كأوراق الورد ، لكنه ظل محفوراً بقلبه كالكتابة بالمسامير على أحجار الهرم . تبادل الذكريات مع أصدقاء الأمس البعيد ، وضحك معهم على النوادر ، وتأســف لما وقع من المآسى لبعض الأسماء . وبحذر شــديد ، سأل عنها فوجدها قد أصبحت أرملة . كيف ؟ توفــى زوجهــا فى حادث سيارة . وأولادها ؟ ابن فى الجامعــة ، وابــنة تزوجت منذ عام . كاد يقول : وأين هــى الآن ؟ لكنه أجل السؤال إلى فرصة أخرى . تماماً كمــا كــان يفعل فى الماضى . عاد إلى منزله ، لاحظت الزوجة والأولاد وجومه فلم يحدثوه . أغلق على نفسه بــاب الحجــرة ، وفــتح نافذة الذكريات التى لم تجعله يتمكن من النوم طوال الليل . نهض أكثر من مــرة ،

وحـــاول القراءة فلم يتمكن . ظلت صورتها وهى صبية تبتســـم له ، وراح يتخيلها بعد أربعين سنة ! كيف تبدو الآن ؟ وبـــأى حجة يقابلها ؟ وهل ما زالت تحمل نفس المشـــاعر التى يحملها لها ؟ هل يمكن أن يرتبط بها ؟ وماذا سيفعل مع أسرته ؟ أيمكن أن يضحى بها ؟ وكيف يواجه زملاءه فى العمل ؟ وعلى أى شكل ستكون نظرة رؤســـائه ؟ قـــرب الفجـــر دخلت عليه زوجته فوجدته صاحياً . قال لها معتذراً :

– يبدو أن ألم الظهر قد عاودنى من جديد .

أسرعت بإحضار المرهم ، وراحت تدلك ظهره، بيـــنما ظـــل مســـتغرقاً فى الأسئلة التى فجرها ماضيه البعيد..

الممثل والنص

بـدأ يمـارس فـن التمثيل منذ كان فى العاشرة من عمـره. اكتشـفه أحد المخرجين وهو فى المدرسة ، وأسند إلـيه دوراً فـى فيلم ، جعله محط أنظار المخرجين، فصاروا يطلـبونه لأدوار مماثلـة . كبر وأصبح نجماً . كثرت حوله المعجـبات ، فـتعددت مغامـراته، ومـلأت أخباره الصحف والمجـلات . أما أصدقاؤه المقربون فكانوا كلهم من الوسط الفـنى. لـم تكـن تـدور أحاديثهم إلا عن الفيلم الماضى ، والاستعداد للفيلم الجديد . .

ذات يـوم ، جـاءه سـيناريو لفـيلم عـن إحـدى الشخصـيات التاريخـية . فيلسـوف دفع حياته ثمناً لآرائه. كـيف ؟ لـم يجد فى السيناريو كل ما أراد معرفته . استعان بـبعض المـراجع . سـتة أو سبعة كتب ضخمة إلى جانب مؤلفـات الفيلسـوف . أغلق على نفسه باب الحجرة وراح يقـرأ . اعـتذر عن مقابلة الأصدقاء فى موعدهم اليومى ، واسـتمهل المخـرج بعض الوقت ليستوعب الشخصية على نحـو أعمـق . ولأول مـرة ، انفتح أمامه عالم كان يجهله

تمامـــاً . الفيلســوف رأيه صحيح ، والمجتمع كله كان على خطــأ . والعجيــب أنهم اتهموه بالخبل والجنون ثم بالخيانة العظمـــى ، وأخيراً أقدموا على إعدامه وإحراق كتبه ، لكنهم بعــد أكــثر مــن مائة عام تبينوا أنهم أخطأوا ، وأن الرجل كــان يــريد لهــم الصـــلاح . أعادوا نشر كتبه، وأقاموا له تمثالاً فى نفس الميدان الذى أعدم فيه . .

راح يســتعرض شــريط حــياته . ماذا فعل ؟ وماذا قــدم للــناس ؟ وهــل مـــا ينطق به أمام الكاميرا يوازى ما يفعلونـــه فـــى حــياتهم ؟ إنـــه مجــرد دمية يحركها كل من المؤلــف والمخــرج مثلما يشاء . أين أراؤه الخاصة ، وأين أفكـــاره ؟ إنـــه لم يعلنها قَطْ ، وحتى فى الأحاديث الصحفية يكـــون هـــناك مـــن يـــنقحون كلامه ، بهدف المحافظة على اســـمه الفـــنى ؟ هكـــذا مضت حياته هباء ، وسوف يمضى الـــباقى مـــنها . . مجرد خيالات على حائط يراها الناس فى الظلمـــة ، ثـــم يخرجون بعدها لممارسة حياتهم فى النور . اســـتعجله المخـــرج كثـــيراً لكـــنه ظـــل يعتذر ، وأخيراً قدم اعـــتذاره النهائى عن الفيلم قائلاً: إنه بحاجة إلى فترة ينفرد فيها بنفسه ، لكى يراجع أموراً كثيرة فى حياته !

الفهرس

المؤلفات الأدبية

للدكتور حامد طاهر

ديوان حامد طاهر	القاهرة	1985
ديوان قصائد عصرية		1989
ديوان عاشق القاهرة		1992
ديوان النباحى		1992
الطواحين (قصيدة طويلة)		1999
ديوان تراب القدس		2001
ثلاث مسرحيات شعرية		2002
نبش الذاكرة		2000
المختصر فى الحب		2001
قصص عالمية		2001
حوارات سقراطية		2002
سلسلة شاعر ومختارات (1 هاشم الرفاعى)		1998
سلسلة شاعر ومختارات (2 صالح الشرنوبى)		1999
سلسلة شاعر ومختارات (3محمد الفيتورى)		1989

رقم الايداع	٢٠٠٣/٤١٢٢
الترقيم الدولى	I.S.B.N.977-223-740-1

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ت: ٧٧٩٧٥٥٠